" حوار حول الفلسفة المشرقية "

بقلم الدكتور
هاني يحيى نصري

التسمية والدافع :

هذا العنوان " حوار حول الفلسفة المشرقية " لا يمكنه ان يكون عنوان مقال بل هو مشروع كتاب أتممت اعداده خلال الاعوام ١٩٨٨ - ١٩٩١ التي حاضرت فيها في أمريكا - وبالتحديد في جامعة فورد هام في نيويورك - حول الفلسفة العربية الاسلامية ، ولأن هذه الفلسفة هي ملك للعرب بقدر ما هي ملك للشعوب الاخرى التي كتبت باللغة العربية والتي كانت ولا زالت تدين بالاسلام ، ولأن هذه الفلسفة في بعض الاحيان اتهمت بالخروج عن الخط الاسلامي عند البعض في تفسير الوجود ، ومن أجل الامانة الموضوعية في نقل الافكار تبنيت تسمية " ابن سينا " و " ابن باجة " و " ابن طفيل " و" ابن رشد " لهذه الفلسفة " بالفلسفة المشرقية ، في الوقت الذي وجدت ان وضع تلك الفلسفة القديمة في طروحاتها القديمة ازاء مشكلاتنا المعاصرة ، سيغدو عديم المعنى مالم يكن هنالك صلة بين التساؤلات القديمة حول مشكلات مثل مشكلة الوجود والحرية والاتصال والكلية والعدالة والحق والحقيقة والمعرفة والعرفان والبنيوية والعدم والمصير والبقاء والفناء .. الخ .. وبين التساؤلات الحديثة حول مثل هذه المشكلات، وان ايضاح مثل هذه الصلة بين هذه المشكلات في طروحاتها القديمة والحديثة لا يمكنه أن يكون واضحا أكثر من وضوحه في منهج " الديالوج " الذي ثبناه افلاطون ، لذلك لجأت الى هذا المنهج الافلاطوني القديم في تقديم" الفلسفة المشرقية " الى الغرب ، عبر حوار تم بيني وبين طلابي في محاضراتي حول هذه الفلسفة من خلال موضوعات كانت مهمتي تحديد وتسيير الحوار حولها في كل محاضرة ارفقتها بالمراجع والمصادر المتاحة في الترجمات الانكليزية والتي أعانني فيها سعة المعلوماتية في مكتبة الكونغرس بواشنطن وسهولة الاتصال بها عبر تقنية الكمبيوتر المتطورة

وقد ارتأيت اليوم أن أضع بين يدي القارىء العربي بعض هذه الحوارات التي كتبتها أصلا باللغة الانكليزية ، فهو الاحق بمثل هذا التراث الذي يجب ان لاتحرمه منه ظروف اقتصادية عابرة ، عسى ان يكون في مثل هذا العمل أمل حافز جديد لاستمرارية الفلسفة المشرقية ، رغم كل الصعوبات الاجتماعية والاقتصادية والاعتقادية التي يمكنها ان تعيق استمرار مثل هذا العمل ، خاصة وانه لولا هذه الفلسفة المشرقية لما كان لحضارتنا العربية الاسلامية حجر زاوية عليه بنت شامخ طودها بين الامم ..

أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي المتوفى عام ٨٦٧م :

طبعا الجواب من البداية الفكرية التي استدعت هذه الفلسفة ، والمرتبطة ببداية تاريخية لها . ذلك أن الفلسفة الاغريقية القديمة ولعدم معرفتها بقضية " الوحي " الالهي حجبت عن منهجها الفلسفي تلك القضية المعضلة ، مما دفع بأفلاطون الى نظرية " المثل " وبارسطو الى افتراض المحرك الذي لا يتحرك لتفسير مبدأ " السببية " دلالة على أن الفكر الانساني حتى لو لم يعرف " الدين الموحى " يظل تحت ضغط الحاح التساؤل عن بداية البداية للوجود وقضية المصير فيه ؟ مما استدعى الفلسفة الاسلامية لاكمال مثل هذا النقص بالتصور ، بعد فشل " الافلوطينية المحدثة " بنظرياتها الفيضية القريبة من الاسطورة في مثل هذا التفسير .

ان اهم ماكتبه " الكندي " مثلا هو كتابه " حول الفلسفة الاولى " والذي قدمه جوابا عن مثل هذه التساؤلات الفلسفية الناقصة حول وجود تحكمه ظواهر سببية " الحق الاول موجود ضرورة لأجل ان يوجد الوجود " وان اهم ما تقدمه الفلسفة الاولى هو معرفة او التعرف على الحقيقة الاولى او الحق الاول) (١)

وتصور الكندي لهذا الامر لم يأت من " الافلوطينية المحدثة " كما تريد الاكاديمية اليهودية الغربية تصويره لوضع الفلسفة المشرقية كلها في اطار الشرح للفكر الاغريقي ليس الا . بل جاء من رفضه للتصور الافلوطيني " الناقص حول مشكلة السببية والذي ليس فيه أكثر من اسطورة الفيض ؟ ..

- واذا كان الامر كذلك فمن اين جاء تصور الكندي لهذا الامر ؟

- تبدو الاجابة أبسط من أن تحتاج دلالة تاريخية فالاسلام كلمة في جملة تتضمن التسليم .. والتسليم لا يأتي الا بعد صراع مع .. بعد كفاح من أجل .. والتسليم لا يتم الا اذا استهلكت الحجج ونفذت مؤونة الفكر والعمل ، وكل سؤال يتجه بالمسؤول الى تحري المفاهيم ، لا بد من أن يكون سؤالا فلسفيا ، ومجرد تسمية دين التوحيد الابراهيمي بالاسلام هو اتجاه نحو تحري مفاهيم فلسفية ، فمطلب التسليم في جملة كلمة الاسلام مطلب فلسفي في بنيته اللغوية .

- الاسلام بهذا المعنى استدعى الفلسفة بتحديه للانسان في مطلبه الاساسي من كل الناس بالتسليم .

- كذلك تاريخيا استدعت الخلافة العباسية الفلسفة الى قصورها منذ الرشيد ثم المأمون ، والكندي بذاته من ثمرات هذا الاستدعاء ، وهذا طبعا لا يعني شهر عسل دائم بين من يسلم ومن لا بد ان يكافح - كما تضمن المطلب الاسلامي - قبل أن يسلم لذلك أهين الكندي بعد المعتصم وصودرت مكتبته وردت اليه مرارا ، وكما وصف " ايفري " حياة الكندي مثال على الوقوف بين قوى متعارضة ، على كل الفلاسفة المسلمين ان يقفوه . (٢)

مفهوم التسليم في الاسلام استدعى الفلسفة والتي بدورها تستدعي تعارض الاراء ، ومن هنا صعوبة فهمها من جهة والتعامل معها من جهة أخرى ، صعوبة تصل الى حد الاستحالة في مجتمع غير متنور لا يقبل الا بالرأي الواحد ، لذلك لم تتطور الفلسفة الاسلامية الا في ذروة انفتاحنا الحضاري ، وأفلت بأفوله ..

- ولكن السؤال الاكبر هو هل امكننا نهائيا الاستغناء عن الفلسفة ؟ فحتى جماعة الرأي الواحد لا بد لهم من ان يفلسفوا رأيهم هذا مما استدعى ظهور الاسكلائية الكلامية مع كل دولة ، ومع كل حكم ، تفسر الدين كما تشاء تلك الدولة له التفسير ، وتدعمه بالحجج التي تلائم واقع الحال .

- هذا هو أساس علم الكلام منذ المعتزلة الى اليوم ، فاذا كان تعريفه الاساسي هو الدفاع عن الدين بالمنطق ، فان تعريفه الواقعي هو الدفاع عن مذهب الدولة الواقعي بحجج التبرير لهذا المذهب . الكلام اذا هو استهلاك حجج البحث عن الحقيقة بادعاء امتلاكها ، كحركة فلسفية معاقة لا زالت اسيرة السلطة ، فمن قال ان الفلسفة العربية انتهت بعد ابن خلدون ، لقد انتهى البحث عن الحقيقة ، اما دعاة امتلاكها فهم لا زالوا يتزودون بحجج الفلسفة التي تعينهم على هذا الامتلاك .

وتاريخيا تبنت الفرق الكلامية الفلسفة لتدعيم مواقعها الاعتقادية ، ولكن الفلسفة بذاتها لا يمكنها ان تخدم أحدا ، وقد كان الكندي اول من خرج عن الفرق الكلامية لخدمة الحق لا شيء سواه .

- هل هذا يعني ان الكندي لم يكن معتزليا ؟

- لقد تمتع المعتزلة ايام الكندي بالسلطة مستعملين مراكزهم السياسية في فرض عقيدتهم على الاخرين ، ورغم ان بين الكندي والاعتزال الكثير من التوافق لكن رفضه لسلوك المعتزلة اكثر من موافقته لخط فكرهم ؟

- هل يوجد نص صريح ينتقد فيه الكندي المعتزلة ؟

- لقد قال مهاجما تجار العقيدة :

" والتجارة بالدين لأن من تجر بشيء باعه " (٣)

- الفلسفة اذا بحث عن الثوابت من وراء المتغيرات ، وكل ادعاء وصول الى هذه الثوابت خروج عنها ؟ .

- طبعا لا .. ؟ فهي بحث عن الثوابت وراء التغير والوصول الى اي ثوابت وصولا الى العلم الذي ينفصل عن الفلسفة بكونه يقينا ، ولكن تسخير هذا اليقين من أجل غرض ، هو تجارة به اذا لم توجهه أخلاق ، كتسخير التقنية العلمية للحرب والتدمير بدل الاعمار والتقدم ؟

- من أجل هذا قال الكندي : " ان الفلسفة هي التشبه بأفعال الله تعالى بقدر طاقة الانسان " (٤) .

- نعم : بمعنى أن : غرض الفيلسوف من علمه أصابه الحق ، وفي عمله العمل بالحق (٥)

- وليس اصابة الحق لعلة أخرى مضافة اليه زمانيا (٦) .

- لأنك اذا حددت هدفك من البحث عن الحقيقة ، فان هذا يعني أنك تعرف الحق وتوجه الفلسفة نحوه لا العكس .

- لماذا قبل المعتزلة بالكندي اذا ..؟

- لأنهم كانوا يدعون انهم فلاسفة ، وهو حين عارضهم أهانوه حد الضرب (٧) .

- الفرق الكلامية اذا تبنت الفلسفة لتدعيم مواقعها الاعتقادية ، ولكن الفلسفة بذاتها لا يمكنها أن تخدم احدا في نهاية المطاف ، لذلك بدأ ظهور خدمة الحقيقة لا الاعتقادات مع الكندي ، فما هي فلسفة هذا الرجل .. ؟

فلسفة الكندي :

بدأ الكندي في فلسفته بالتساؤل حول حدود المعرفة الانسانية ، ومثل اي معتزلي فرق بين المعرفة الدينية والعلمية والفلسفية والفنية ، دون أن يضع هذه المعارف الانسانية في حدود مستويات متوازية لا تختلط ببعضها ، حجتهم في ذلك أن الحق الذي تقود اليه هذه المعارف في نهاية المطاف واحد وان اختلفت طرق الوصول اليه وبهذا المعنى استخدم الحجج الفلسفية كأداة لتثبيت العقيدة الدينية فكان خير ممثل للتناغم بين السلطوية السياسية والفلسفة . ورغم افتراقه عن المعتزلة كما سبق وأسلفنا في مسألة الانتهازية السياسية فان الكندي عبر عن وجهة نظر فلسفية غدت تقليدا بعده سواء في الفلسفة الاسلامية او المسيحية ألا وهي التزاوج بين الشرعية الدينية والعقلانية الفلسفية وقد كان أمينا على مبادئه الفلسفية ومقدماته العقلانية التي قادته الى مثل هذه النتائج ، ولم يكن يريد أن يصل الى نتائجه هذه قبل أعمال الرأي فيها . وبعبارة أخرى لم يكن الكندي فيلسوفا انتهازيا .

- هل كان الكندي اذا فيلسوفا عقلانيا ؟

ان الكندي باعتماده على العقلانية كان يعرف ايضا حدودها ، فهو لم يستبعد الفلسفة الحدسية ، كما ان اعتباره للوحي أمر غير عقلاني لا يقلل من قيمته برأيه لانه قدم لنا حقائقا لم تستطع العقلانية ان تصل اليها . وكمثال على ذلك برهن الكندي ان ليس بامكاننا عقليا اثبات الواحد رغم ان الواحد والواحدية هي الحوامل الحقيقية لكل الوجود . العقلانية بهذا المعنى لا يمكنها ان تكون الاداة الوحيدة للمعرفة ولا لفهم كل الوجود . وبهذا التفسير العقلاني لحدود العقلانية فتح الكندي الباب للمعرفة الذوقية ، متسائلا عن السبب الاول للوجود ، ومعتبرا ان هذا السبب فوق المكان والزمان لان المطلق لا يمكنه ان يكون بزمن او بحيز ، وهكذا اصبح مفتاح فهم الخلق وبداية الزمن برأي الكندي هي الحركة ، والتي لا بد ان جاءت من محرك لا يتحرك وهذا هو معنى " الحدوث " .

" الحدوث " برأي الكندي ليس أمرا مخلوقا بل أمرا متولدا من خلق ، وكل متولد لا يمكنه ان يولد نفسه ، وبهذا المعنى وضع الكندي مصطلح " الحدوث " تحت سلطة مصطلح الخلق فمن العدم " ليس " جاء الخالق " " بالايس " أي " الحدوث " فولد الوجود ، وبهذا المعنى فالمحرك الذي لا يتحرك هو الذي أيس الأيس من ليس .

- ان الله تعالى هو مؤيس الايسات من ليس ، وبذلك يعتبر موجد الوجود من العدم . ان الأيس هو العميل في عملية الخلق . ويمكنك ان تعتبره ملاكا بدون صفات ، انه الناقل لرسالة الخلق ولكون الايس بدون صفات فانه لا يخضع للزمان ولا للمكان ، وكل علاقة الناس او المخلوقات بالله تتم عبر الايس هذا غير الواضح ، ولكنه الذي يتمتع بوجود .

- ولكون هذا الأيس بدون صفات ولأنه متولد من ليس المؤيس من الله ، الا يجعله ذلك يشبه الانبجاس الثاني في نظرية الفيض ؟

- هنا نقف على الحد الفاصل بين نظرية الفيض الافلوطينية ، والتفسير العقلاني للخلق عند الكندي والذي لايمكن ان تعتبره افلوطينيا ، ذلك ان الايس متولد من العدم وليس انبجاسا عنه او عن خالق كما عند أصحاب نظرية الفيض . وبعبارة اخرى ان الكندي اراد ان يفسر بنظرية الأيس المؤيس لليس ، بمعنى امكان الوجود اللاحسي واللاعقلي والذي عبرت عنه الاديان السماوية بالملائكة والذين اعتبرهم الكندي أداة الاتصال بين الخالق والخلق ، وهم غير منظورين ولكنهم يتمتعون بوجود على نحو ما فسرنا .

ان الكندي لا يريدنا ان نعتمد على

حواسنا في تفسير الوجود ، ولا على عقلنا ايضا ، وهذا ما يمكنني أن أطلق عليه " طاقات وقدرات" اخرى يمكن ان يتمتع بها الانسان بصورة ذوقية لفهم هذه الامور او الاحساس بها دون حس ٠

ويبدو لي ان هذه المحاولة الفلسفية من الكندي هي محاولة تحري الصلة بين الروح والجسد لتعقب أصل كل منهما ، فنحن حتى لو ظننا أننا نعرف أصل الجسد بيولوجيا ، فاننا في نهاية المطاف لا نستطيع ان نؤكد اصل الخلية لان ذلك يقودنا الى السؤال عن أصل الحياة ومشكلة الروح ٠

- فاذا كان الامر كذلك ماذا قال الكندي جول هذه المعضلة ، معضلة الروح ؟؟

- ان الايسات تتمتع بوجود دون صفات او حدود ، وهي غير قادرة على توليد اي شيء من غير مولد ٠ والمولد من ليس اي العدم هو الخالق ، فهي وسائط تشبه الريح في نقل الاجسام والاصوات ٠ وهذا يقودنا الى ان فعل الله في الخلق هو فعل غامض فنحن مثلا عندما ندعي الابداع نجمع ونطرح من مواد موجودة ٠ صانع هذه الطاولة ليس موجد خشبها ولكنه الرجل الذي ركبه على نحو ما ، اما الايجاد من ليس من العدم فلا يتم الا بأيس من الله ، وهذا غاية ما يمكن للعقل الانساني ان يدركه من غوامض قام عليها الخلق ٠ ان الفرق بين خلق الله والابداع البشري ببساطة هو فرق بين استعمال الشيء وايجاده من العدم ٠ ولهذا لا يوجد لله مثيل ٠

- هل أراد الكندي ان يفسر الوجود المنظور وغير المنظور معا في فلسفته ؟

سبق وتحدثنا عن فلسفتة الوجودية اما الامور غير المنظورة ، غير المعقولة ، والتي تظهر بآثارها كالروح والقوى الخفية في الوجود ، فيجب عدم انكارها برأي الكندي لمجرد ان العقل غير قادر على فهمها ، بل دفع العقل الى أقصى حدود امكان تحريها من خلال نظريته في التأييس من ايس ٠ وحتى ان ثبت اليوم خطأ الكندي في نظرياته الفلكية والتي بناها على علم النجوم القديم " العلم الحراني " ان شئت ، الذي كان يدعي التأثير غير المنظور للاجسام ما فوق فلك القمر على الاجسام ما تحت هذا الفلك ومن جملتها الانسان ، ونظريات الابراج الحرانية المتشعبة التفاصيل والتي تداخلت مع النظريات الفيضية الافلوطينية ٠ أقول حتى ولو ثبت خطأ هذه النظريات فاننا لا يمكن ان ننكر تأثير الجاذبية الكونية بين الاجرام السماوية على القوى الفيزيائية الصوتية والضوئية والكهريطيسية (الكهربائية المغنطيسية) المؤثرة على الانسان والفعالة في عضويته الفيزيائية ٠

ولكن في عصر الكندي لم تكن هذه الامور معروفة بل كان هناك ما يشبه المعرفة الحدسية لأثر القوى الكونية على الانسان ، وكلما تقدم العلم سنعرف المزيد من هذا التأثير ٠

- ان الكون يؤثر على الارض والمخلوقات فيها ولكن ما هو رأي الكندي في هذا التأثير بشكل محدد ؟

- ان الزمان والمكان والحركة برأي الكندي قوى لا نهائية تدل على الخالق وهي مصدر ايجاد الوجود من العدم وارسال الوجود الى العدم مرة أخرى ٠ ولعل حل فهم لغز الوجود برأيه ، هوفي فهم الحركة والتي بمجرد " حدوثها " ظهر الزمن فعل الحدوث هذا مولد عن محدث ومنه تشعبت الاثار ولأن المحدث لا بد ان يكون خالدا فهوليس مجرد عقل او روح كلي ، ان موجد الوجود من العدم ذو صفات غير محددة ونحن لا نعرفه الا من خلال نفي الصفات ، تماما كما لا نستطيع فهم الخلق المحض والروح ، في الوقت الذي ندعي فيه الابداع ، اننا لا ندرك مثل هذه الامور الا بنفيها فقط فنحن نستطيع ان نقتل ولكننا لا نستطيع ان نخلق حيا ولذلك لا نفهم معنى الحياة والخلق ٠

- المشكلة اذا وصلت مع الكندي في البحث

في المصير ، فما هو مصير الحياة والى أي شيء تؤول ؟

- هنا تتداخل الاسطورة مع الفلسفة في تفسير الكندي لمصير الروح عندما تترك الجسد فهو يظن ان الأيس البشري المخلوق من ليس خاص لا يشبه الاجسام الملائكية الاخرى هو ما نعرفه بالروح ، وهو قوة كونية عمياء غبية غير مجربة تتمتع بما سماه الاغريق " بالايروس " النزوع اي قوة نزاعة عمياء ترغب بالتوحد مع الاشياء ولذلك أدخلها الله في الجسد حتى تتعلم وتتهذب وتعرف ان دخولها هذا ليس متعة كما كانت تتصور ، واذا نحن لم نساعدها على المعرفة بالفلسفة والعلم فانها ستغادر الجسم الانساني دون أن تكون قد تعلمت شيئا . وبذلك تحتاج الى مزيد من التطهير ولذا يجب ان تتعذب لتعذب .

- جهنم بهذا المعنى لا لتعذيب أعمى بل لتعذيب ينتج عذوبة كان بامكان الارواح ان تتجنبها لو تعلمت الحكمة في الارض .

هنا يبدو ان الكندي يتشابه مع ابن عربي في تفسير العذاب بالعذوبة . وان هذا العالم مجرد جسر ينقل الارواح الى عالم أرقى بعد الموت .

وكذلك يبدو أن الارواح العذبة في أجساد الحكماء قادرة ان تصنع المعجزات كالاخبار عن المستقبل بالرؤى .

- ان الكندي يعدك كما يبدو بأن تحصل على " طاقات وقدرات " (٨) خارقة اذا عذبت نفسك بالحكمة .

- هنا نرى اننا على مفترق بين نهاية الفلسفة وبداية التصوف وانني أعتقد ان الذي ينشد الحقيقة لا بد وان يتمتع ببعض الصفات الصوفية ، وما استحالة التزاوج بين الفلسفة واللاهوت الا ناتج عن محدوية الاختصاص بل محدوية المختص وعدم قدرته على الانتقال من منهج معرفي الى آخر .

وتاريخيا حصل هذا التزاوج والطلاق ثم التزاوج في حركة دورية وسمت كل الفلسفة المشرقية . وقد عبر الكندي عن هذا التزاوج بين الفلسفة واللاهوت بضرورة وجود صفات صوفية في الفيلسوف لبلوغ أعلى أنواع الحقيقة والتي سماها بالعلم الالهي .

لقد كان هذا المقال غمسة بسيطة في فلسفة الكندي ونقطة في بحر حوار طويل حول الفلسفة المشرقية كمشروع فكري لا زلت به أحاول وآمل أن يلقى من القراء مطلب الاستزادة .

د . هاني يحيى نصري

هوامش

(١) Alfred I. Ivry, Al-Kindi's Metaphysics, State University of New York , Albany , 1974, p.56 .

(٢) المرجع السابق ص ٣٤

(٣) المرجع السابق ص ١٣٢

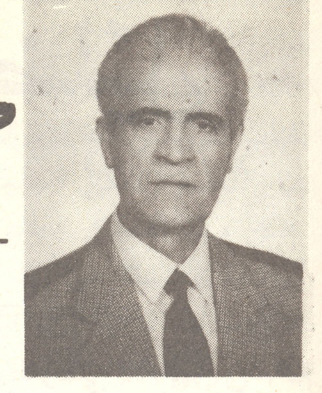
(٤) المرجع السابق ص ١١٧

(٥) المرجع السابق ص ١١٨

(٦) المرجع السابق ص ١١٩

(٧) Said Al-katib Al-Andalusi , Kitab Tabaqat Al-Umam , Edited by louis Cheikho , Beirut 1912 .

(٨) الدكتور هاني يحيى نصري (فلسفة التصوف) قدرات وطاقات - منشورات دار مجلة الثقافة بدمشق ١٩٩٠



ضياع في رحلة العمر

شعر: خضر الحمصي

مضت ستون عاما في سراها ... وقلبي في غلالته طواها

قطعت مسارها عاما فعاما ... وبين جوانحي أرست خطاها

يحار على مسالكها فؤادي ... أسيرا تاه في حمى لظاها

ويحلم أن يحقق ما تمنى ... من الايام لو تصفو رؤاها

غريبا في دروب العمر أجري ... تهشمني النيوب ولا أراها

فيا قلبي فديتك كم تعاني ؟ ... من الدنيا ولم تذكر أساها

وكم ضاقت بما تلقاه روحي ؟ ... وكم طال الشقاء وما تناهى

حننت الى الروابي وهي ثكلى ... وكم حن الفؤاد الى لقاها ؟

فما حققت من نيل الاماني ... سوى حلم بجفن الليل تاها

تواكبني جروح حين أصحو ... وحين أنام أغرق في نداها

وأحضن كل آمالي ابتساما ... فأحيي الليل يؤلمني جفاها

هي الدنيا رفيف من خيال ... يخادع ناظري أبدا صباها

لها والله ما أرخصت دمعي ... ولا خفق الفؤاد الى سواها

فتنت بحسنها الخلاق عمرا ... وكم أغنيت بالنجوى رباها ؟

حياتي كالظلال تميس حزنا ... وكم من ناظري دمع سقاها ؟

وكم ضيعت من عمري صفاء ؟ ... وقد أوفيت للدنيا عطاها

فما لي لم انل منها وفاء ؟ ... وترميني المقادر في هواها

حنانك أنت يا قلبي فلولا ... بكاء الروح لم تعرف شقاها

يفيض بمهجتي ألم غريب ... كجمر بين أحنائي كواها

يهيم بنارها قلبي انتشاء ... فتغرقه بسيب من عطاها

خلقت وكل أيامي ارتحال ... وأغنتني المباسم من جناها

فكم غنيت أشعاري حنينا ؟ ... وذبت مع الحنين الى غناها

فهل أرجو من الدنيا انعتاقا ؟ ... وقلبي من قساوتها شكاها

السينما الصهيونية خداع وتضليل

فيصل مصطفى أحمد

لا شك ان السينما من أهم الفروع الثقافية وأوسعها تأثيرا على جماهير الرأي العام ، وذلك في قدرتها على الانتشار وصياغتها بأسلوب مشوق ، وبما ان جذور الصهيونية العالمية كان عميق المدى وقوي التسرب في جميع ميادين الثقافة ، فقد عملت جاهدة على التسرب بمجرد اكتشاف السينما للسيطرة على هذه الادة الاعلانية الهامة ، فقد أدركت الصهيونية في السينما فورا امكانية تحقيق أهدافها ، ووجدت في صناعتها قوة أكثر من أية قوة اخرى واستغلت أفكارها وأهدافها ونفذتها في مشاريع سينمائية ، لكن ماهي ماهية هذه السينما؟

انها ببساطة السينما التي تخدم بشكل مباشر او غير مباشر المفاهيم والاهداف المنبثقة عن بروتوكولات حكماء صهيون الظاهرة منها والخفية التي تسهم اسهاما وثيقا جزئيا او كليا في حملات الدعاية الصهيونية وبشكل خاص مزاعم الكيان الصهيوني الذي يمثل الخطوة الاولى من خطوات الاهداف الصهيونية الغامضة ، وهذا يعني بالضرورة ان هذه السينما ليست قاصرة في تواجدها على النشاط السينمائي في " اسرائيل " وانما تتعداه الى النشاط السينمائي العالمي بأسره وعلى امتدد القارات الخمس ٠

بدايات السينما الصهيونية :

بعد عامين فقط من المؤتمر الصهيوني الاول ١٨٩٧ وبعد أربع سنوات من ولادة أول فيلم في العالم ، ظهر أول فيلم صهيوني من انتاج امريكي " قضية دريغوس " وهي قضية الضابط الذي طرد من الجيش الفرنسي لانه يهودي ، ثم تلاه في عام ١٩٠٠ الفيلم الصهيوني الثاني " الماعز تبحث عن الحشائش "وهو عبارة عن شريط قصير مدته سبع دقائق ويتحدث عن عائلة يهودية تصل الى فلسطين " موطنها " وتناضل من أجل اسماع العالم صوتها حول حقها في أن تعيش هناك حرة ٠

بعد هذين الفيلمين لجأت الأشرطة الصهيونية الى مسألة الدين ، فأنتجت العديد من الافلام التي تظهر حق اليهود المضطهدين في فلسطين مثل فيلم " الابن العاق " وفيلم " شمشون " و " دليلة " وهما من اخراج الامريكي فرديناند تريكا وفيلم " الوصايا العشر " وفيلم " بن هور " وهما من انتاج أمريكي ايضا وتناولت مشاكل القبائل اليهودية مع الفراعنة الذين اضطهدوا اليهود وحاولوا منعهم من العيش بسلام في أرض الميعاد ، هكذا ولدت السينما الصهيونية مطابقة لقراءات مؤتمر بال من حيث استثارة غضب الاوربيين على اليهود والدعوة للهجرة الى أرض الميعاد في فلسطين ٠

لقد أعتمدت الصهيونية في تركيز مفاهيمها ومبادئها بالنسبة للسينما على ثلاث أسس :

الأول : أساس اقتصادي كان يهدف الى السيطرة الاقتصادية على تقاليد صناعة السينما انتاجا وتوزيعا وذلك بالتركيز على تشجيع وادخال رؤوس الاموال اليهودية لتمويل هذه الصناعة ٠

الثاني : اساس ابداعي كان يهدف الى السيطرة

الكاملة على تقاليد الفن السينمائي بتسرب مجموعة كبيرة من الفنانين بمختلف التخصصات الى اطارات هذا الفن الحديث النشأة تمهيدا لابتلاعه كليا .

الثالث : اساس فكري وذلك بتأمين مجموعة من الكتاب المروجين للمفهوم الصهيوني لتأمين امكانية نشر المفاهيم والافكار الصهيونية عن طريق السينما وضمن هذا الاساس عملت الصهيونية على ترسيخ وجودها بسلسلة من الكتابات والمقالات الدعائية للترويج لعباقرتها ومدعيها وكأنما هم اساس السينما وكيانها وحدهم دون الجميع .

بهذا الشكل عملت الصهيونية على احتواء هذه الاداة الاعلامية الهامة لتسخيرها في خدمة مبادئها وأهدافها وذلك بأستخدام اساليب عدة تختلف من مرحلة الى أخرى تبعا لتغيير أولويات سياستها بشكل نجد أنه مع صدور وعد بلفور عام ١٩١٧ اصبحت الصهيونية امام وضع جديد يتطلب الاسراع بتهجير عدد متزايد من اليهود الى فلسطين لتسيير انشاء الوطن القومي الموعود فأنتجت أفلاما أبرزها الفيلم الامريكي " ابن الارض" الذي يعتبر بداية مرحلة جديدة في السينما الصهيونية والذي يروي كفاح الشباب اليهودي ضد الاستعمار البريطاني وضد ما أسموه بالاستعمار العربي لفلسطين لينتهي الفيلم بهتاف شباب اليهود " نحن أبناء هذه الأرض ، انها ارضنا وسنواجه أعداءنا ، وكما نجد أيضا أن أهداف السينما الصهيونية بعد عام ١٩٦٧ أخذت ترتكز على تبرير الاحتلال وإظهار اسرائيل دولة متقدمة لها الحق في الهيمنة على المنطقة العربية المتخلفة وأصبحت تنادي بالسلام معززة ذلك بسينما نشطة متسمة بايديولوجية صهيونية .

واقع السينما الصهيونية الحالي :

بعد عملية الاختراق الكبير الذي حققته هذه السينما في المهرجانات العالمية انتقلت في عقد الثمانينات الى مرحلة الاحتواء للسينما في بلدان كثيرة من العالم ، مواصلة بذلك نشاطها وملونة نفسها بوجوه واقنعة مرئية وغير مرئية ، اذ تقدم نفسها تارة أنها امريكية وتارة أخرى فرنسية ، وكل الطرق والأقنعة تؤدي الى الصهيونية ، وبشكل نجد شركة " كانون " السينمائية الصهيونية تلجأ الى أسلوب الانتاج المشترك مع فرنسا لكي تصل المغرب العربي الى اسلوب شراء حق التوزيع من مخرجين عرب .

لقد تركزت افلام الثمانينات حول فكرة حماية اسرائيل ، وتطورها وتقدمها مع التركيز على بعض السلبيات والصراعات الداخلية ضمن لعبة الديمقراطية المزعومة مع بقاء الدعوة للهجرة هدفا أساسيا وقد تم عام ١٩٨٠ فقط انتاج ١٢ فيلما وعام ١٩٨٢ ١٣ فيلما ، وتنوعت السينما الصهيونية في هذه المرحلة فأصبحت هناك سينما ناطقة باللغة العربية وسينما منتجة على الصعيد العالمي اضافة الى الانتاج السينمائي العالمي في اسرائيل ، وأبرز أفلام هذه المرحلة فيلم " السفير " انتاج شركة كانون فيلم عام ١٩٨٦ يحكي قصة سفير امريكي يصل الى اسرائيل كسفير لبلاده هناك ، وفي ذهن هذا السفير امكانية حل القضية الفلسطينية والصراع العربي الصهيوني ويتمثل في جمع عدد من الطلبة العرب واليهود للنقاش تمهيدا لامكانية أكبر في لقاء العرب واليهود وفي حوار لحل قضاياهم حيث يرى السفير ان التطرف العربي واليهودي لم ولن يؤدي الا الى الدماء ، ويصور الفيلم مجموعة متطرفة من الفلسطينيين المسلمين تداهم مكان الاجتماع وتنهي الحوار بحمام دم ، ويعترف السفير بفشله ويواسيه ضميره على المجزرة التي تسبب بها وينتهي الفيلم بتصوير مظاهرة الطلبة حاملي المشاعل أمام منزله والتي تأتي لتطالبه بالسلام لتجعله يتفاءل من جديد بإمكانية تحقيق المعجزة

أساليب السينما الصهيونية :

أساليب هذه السينما متطورة ومتغيرة باستمرار كما قلنا سابقا بسبب اعتمادها على خبراء في علم النفس وعلم الاجتماع وبسبب استقطابها لرؤوس اموال كبيرة ومحاولتهم الدائمة الاستفادة من التغيرات السياسية العالمية وبسبب امتلاكها أحدث الاجهزة الفنية في مجال السينما الا

هي معرفتها بكيفية توظيف هذا الفن لخدمة مفاهيمها .

ان المقولات والافكار التي دعت اليها الصهيونية تقودنا الى اعتماد ثلاثة خطوط في تحديد أساليب السينما الصهيونية .

الخط الاول : الانتهازية التي تتجلى بها هذه السينما حيث تخرج موضوع اضطهاد اليهود من اطاره الديني الى صيغة اكثر اقترابا من مفاهيم العصر حيث ان صيغة الاطار الديني والطائفي لم تعد صالحة للحوار العصري واضعة ثقلها كله وراء اظهار اضطهاد اليهود كشعب وكجنس وككيان بشري من حقه ان يعيش كبقية البشر .

الخط الثاني : الايمائية في اظهار المفاهيم الصهيونية بدلا من الاطار المباشر وذلك وفق استراتيجية واضحة وبتكتيكات مختلفة مع تطورات العصر والاحداث الدولية .

الخط الثالث : المباشرة في تبني المفاهيم الصهيونية ايضا ضمن الاستراتيجية والتكتيك الذي يضمن نجاح أهداف هذه الافلام مراعية الجمهور الذي تتوجه اليه واللغة التي تفهمها .

وضمن الخط الاول برعت الصهيونية في تمرير بعض المفاهيم التي تخدم أهدافها الاساسية بذكاء في افلام كثيرة منها " اطلانطيس " وفيه مقولة بأن حكماء اطلانطيس القارة المفقودة وهم من اليهود وهم بناة تلك الحضارة الغامضة ، وفيلم " يدعونني ترينتي " وفيه مقولة لقصة تؤكد مفهوم ابادة الجنس المتأخر من أجل الحضارة وتأكيد مفاهيم الاستعمار الاستيطاني بشكل أو بآخر .

اما ضمن الخط الثاني فقد برعت الصهيونية في تأليب مشاعر الرأي العام تدريجيا نحو تبني المفاهيم الصهيونية وتعاطف هذه المشاعر مع العنصر اليهودي وبشكل تتفق فيه مع أسلوبها في استخدام الخط الثالث حيث نجحت الصهيونية في التلاعب بذكاء ما بين خطوط تكتيكاتها واستراتيجيتها في السينما فهي تقدم من جانب السينما الاسرائيلية مفاهيمها المباشرة بينما تقدم تخدم مبادئها بعدة اشكال وعلى كل الظروف فهي مثلا تغامر بتقديم حتى الافلام التقدمية كما انها تقدم أفلاما مباشرة تدعو للسلام بين الشعب العربي ولكن بشكل خفي تؤكد استحالة هذا السلام الا ضمن مفاهيمها الخاصة .

ميادين وموضوعات السينما الصهيونية :

ان نظرة سريعة الى تاريخ نشوء السينما في العالم تثبت لنا بدون شك أن هناك سيطرة كاملة من جانب العنصر اليهودي على هذه الصناعة الكبيرة والقوية التأثير بدءا من راس المال الاساسي لتمويل أي انتاج سينمائي مرورا بشبكات التوزيع وانتهاء بالاعمال الابداعية ذاتها على تنوع أشكالها من اخراج او تصوير أو تمثيل ، ومن الخطأ الظن بأن ميدان السينما الصهيونية يقتصر على حدود الكيان الصهيوني المغتصب لارض فلسطين والحقيقة ان ميادين هذه السينما متنوعة ومتشعبة وهي موجه نحو ثلاثة اقانيم في آن واحد :

١ - اليهود بشكل خاص وفي شتى أماكن تواجدهم .

٢ الرأي العام العالمي سواء المؤيد لما يطرحونه من مفاهيم او المعارض لها .

٣ - الاقليات في البلدان الكبيرة والشعوب في البلدان النامية .

ولهذا فان توجهات الصهيونية في ميادين السينما توزعت وطبقا لتكنيك هذه التوجهات واستراتيجيتها الى المناحي الآتية :

الاول : ميدان الانتاج السينمائي الاسرائيلي .

الثاني : ميدان الانتاج السينمائي الاسرائيلي العالمي المشترك .

الثالث : ميدان استغلال الانتاج السينمائي لخدمة مفاهيمهم .

الرابع : ميدان التعاون الخفي من وراء الستار مع الشركات السينمائية العالمية .

الخامس : ميدان التعاون الشخصي مع السينمائيين العالميين ، وهذا يتأتى اما عن طريق ابتزاز بعض السينمائيين العالميين لتكريس فيلم من أفلامهم او مشهد لخدمة أغراضهم لقاء الاغضاء

عن فضيحة او ماشابه من ذلك او اقناع بعض السينمائيين باظهار الشخصيات اليهودية في افلامه او اعطاء أدوار البطولة لنجوم يهود واسرائيليين او يتأتى ذلك عن طريق خداع بعض السينمائيين التقدميين بشكل أو بآخر .

السادس: ميدان الانتاج اليهودي .

السابع : الميدان الاعلامي الدعائي لهذه التوجهات السينمائية .

من هنا فإن استخدام الصهيونية للسينما لخدمة أهدافها لا تحده أطر فنية واضحة ، وانما يظهر في أكثر من إطار وضمن أكثر من قالب يتجدد ويتطور باستمرار مع التطورات الفكرية والفنية المتغيرة ، ولو حاولنا امعان النظر مليا في الافلام التي تحل مفاهيم صهيونية مباشرة او غير مباشرة لراينا أنها لا تلتزم بنوعية او موضوع معين من الافلام ، وانما هي تتحرك على أرضية صلبة ومعينة من التكتيك والمغادرة عبر أكثر من موضوع تعليمي .

فضمن الافلام التاريخية ينطوي أكثر من فيلم صهيوني " بن هور " و " شمشون ودليلة " و "جنكيز خان " والتي اعتمدت على ناحيتين :

الاول : استخدام الاساطير الدينية والمأخوذة من الكتب المقدسة وتفسيرها بما يخدم الاهداف الصهيونية .

الثاني : تسخير التاريخ وتزييفه وتوظيفه لصالح الشعب المختار " هادفة الى تأكيد عدة مفاهيم تخدم استراتيجيتها .

ولو تأملنا موضوعات هذه الافلام لوجدنا انها جاءت لتأكيد تواجد الشعب اليهودي كشعب ودولة ولتكريس المزاعم الصهيونية في فلسطين وللاشادة بالدور الحضاري الاسرائيلي على المنطقة والافلام التي تظهر المذابح اليهودية لكسب عطف الرأي العام العالمي ، وضمن الافلام الحربية العسكرية هناك مئات الافلام تناولت حرب ١٩٤٨ ومثلها تناولت حرب ١٩٥٦ و ١٩٦٧ وجميعها تمجد انتصارات الجيش الاسرائيلي ، وتحط من قدرات الجيش العربي مثال هذه الافلام البريطاني " جوديث " والامريكي " الدورية التائهة " وهناك أيضا افلام الجنس الصهيونية التي قد تختلف عن الافلام الغربية بكونها مغلفة بطابع علمي مقصود ومثل هذه الافلام لها هدفان :

الاول : ثقافي محض ويكون موجها للمستوطن الصهيوني الملم بلغة الفيلم بهدف توضيح عملي لنظرية علمية .

الثاني : سياسي على المدى البعدي بخلق نوع من التفكك والانحلال الخلقي بشد المراهقين العرب الى مشاهد ومناظر جنسية ودفعهم نحو الانحراف وهناك أيضا الافلام النفسية وأفلام الرعب والافلام الاجتماعية والكوميدية والسياحية وافلام الخيال العلمي الذي يحمل في مضمونه أهدافا وغايات خطيرة .

الزعماء الصهاينة والسينما :

علاقة السينما بالزعماء الصهاينة وطيدة منذ نشأة هذا الفن باعتبارها تمثل احد الابواب الدعائية التي تساهم في تحقيق أهدافهم السياسية الرسمية الذاتية وقد حاول هؤلاء الزعماء استغلال الميزات والسمات السينمائية ليوجهوها في خدمة أغراضهم ليزينوا تاريخهم الملىء بالدس والارهاب بسبب الدعم الذي تلقته ماديا ومعنويا .

ويسجل لـ " بن غوريون " اول رئيس وزراء دوره الفعال في عملية الازدهار والدفع ، حيث وقف الى جانب حشد من الممثلين ينصاع لتعليمات المخرجين حيث اشترك في اعادة فيلمين من حياته كذلك نذكر " غولدا مائير " وتدخلها في تحسين العروض والاعمال السينمائية فهم زعمائهم دعم السينما دعما متواصلا بشكل ينعكس على الجمهور الذي أخذ يتعاطف مع مواضيع السينما .

وقد تجلى اهتمام الزعماء السياسيين الاسرائيليين بالقضايا الفنية والفنانين بلقاء "بيغن" مع الممثلة العالمية اليزابيت تايلور التي اعتبرت لقاءها بأنه أعطاها القدرة على التواصل في الشهرة فما فشلت السينما الصهيونية يمكن تحقيقه عن طريق الممثلين والكتاب الذين ينتمون للشعوب الاخرى فتوصيل فكره للامريكيين او الاوربيين ستعطي مردودات اكثر نفعا اذا كان الممثل

أمريكي او ايطالي ، منه لو كان مستوطنا صهيونيا مع أخذ الفارق المهني والشخصي بين هؤلاء واولئك علاقة الصهيونية بالسينما العالمية :

من المعروف ان نظرة الدول الغربية الى العرب هي نظرة عدائية عنصرية أخذت تتطور في العصر الحديث وتأخذ معها أبعادا جديدة وقد استخدمت السينما كوسيلة مساعدة في بلورة هذه النظرة وظهرت افلام غربية كثيرة تنقص من العرب وتظهرهم بمظهر المتوحشين المتخلفين أعداء الحضارة ، وقد وجدت الصهيونية ما يوافق أغراضها وتوجهاتها فاستغلتها أعظم استغلال فكانت البداية الاولى للافلام الصهيونية خارج فلسطين بالفيلم الفرنسي " قضية دريغوس " وكان هدف هذه الانطلاقة هو مواكبة الحركة الصهيونية ورسم المسار الذي ستتبعه الافلام التالية ، فانصاعت شركات الاحتكار الغربية وبتمويل من راس المال الصهيوني للأهداف الصهيونية ومبادئها وبشكل ادى الى تضليل قسم من السينمائيين الغربيين للهجرة الى اسرائيل لجعل العمل السينمائي اسرائيليا فكان من بينهم فنانون لهم حضورهم الفني في هوليود التي تضم في غالبيتها يهودا يمسكون بايديهم مقدرات السينما هناك بقوة وقدموا لهم المساعدات والتجهيزات والمعلومات والكفاءات ، وقد سعى هؤلاء الى تقديم اعمال صهيونية عنصرية كان من بينها فيلم " حتى طلوع الفجر " الذي يجسد الاطماع الصهيونية الاغتصابية من خلال ابراز وتضخيم الاعمال العدوانية ضد العرب وقد هدف هذا الفيلم الى التأكيد على أن :

١ - العرب الفلسطينيين ليس لهم وجود كشعب بل هم جماعات من البدو تنقصهم الحضارة والمدنية الموجودة عند اليهود ٠

٢ - اليهودي الذي حمل حضارات كل الأمم جاء عازما الى هذه الارض ليلحقها بركب التحضر والمدنية ٠

غزو الأفلام الصهيونية للمهرجانات العالمية :

بدأت عملية اختراق السينما الصهيونية لدور السينما العالمية بصورة منتظمة في النصف الاول من عقد الستينات ثم توسعت هذه العملية بعد عام ١٩٦٧ حيث بدأ الغزو السينمائي الصهيونية للمهرجانات العالمية وفي مقدمتها مهرجان " كان " بفرنسا حيث عرض فيها عام ١٩٦٧ الفيلم الاسرائيلي ثلاثة أيام وشاب وفاز بجائزة افضل ممثل بعد ضغوط عديدة على لجنة التحكيم على الرغم من بساطة الفيلم ، وفي السبعينات ازداد وجوه السينما الصهيونية في مهرجان كان حيث قدمت عام ١٩٧٥ ثلاثة عشر فيلما كان أولها روزيد الذي يتحدث عن اختطاف خمس فتيات من قبل الارهابيين الفلسطينيين ، ليس من اجل المال انما للحصول على فرصة تتيح لهم طرح قضيتهم ومما يلفت النظر ان هذا التزييف السينمائي قد أفردت له مجلة فرنسية " سينما " عشر صفحات الى حين لم تفرد سوى صفحتين لفيلم كفر قاسم الحائز على الجائزة الكبرى لمهرجان قرطاج لعام ١٩٧٤ وفي مهرجان كان ١٩٨٠ عرف الاسرائيليون في ظل انخفاض الوجود العربي فيه كيف يستخدمون هذا السلاح الفني الجذاب للتأثير في الرأي العام العالمي ، ومكنهم من اعلاء أصواتهم داخل المهرجان من خلال حملات الدعاية المكثفة والاغراءات الهائلة الموجهة الى صناع السينما العالمية لكي يتجهوا الى اسرائيل ، جنة صناع السينما في الشرق الاوسط امام مهرجان برلين فقد تحول الى ساحة مفتوحة للصهيونية العالمية وافلامها عن اليهود وعذاباتهم وطموحاتهم للسلام وبشكل اصبح هذا المهرجان كبون للدعاية الصهيونية ولم يكتف الاخطبوط الاسرائيلي بغزو المهرجانات العالمية بل امتد ايضا الى قلب المهرجانات العربية بوجوه وأقنعة مزيفة وحيث عرض في مهرجان قرطاج السينمائي بتونس فيلم " نحن يهود وعرب اسرائيليون " اذ أدخله منتجه الاسرائيلي للمهرجان بجنسية سويسرية ، وامتدت السينما الصهيونية لتفتح لنفسها ثغرة في جدار السينما العربية ذاتها حيث أصبحت الشخصيات اليهودية موجودة حتما في الافلام العربية وكأن هذه الشخصية هي جواز السفر الضروري لتأمين نجاح الأفلام في الغرب ،

ومثال ذلك الفيلم التونسي " ريح السد " الذي عرض في مهرجان قرطاج ونال الجائزة الكبرى والفيلم الجزائري " الصورة الاخيرة " لمحمد حامينا .

ماذا تخطط الصهيونية لعقد التسعينات على جبهة السينما ؟

ان خطة الاحتواء التي تعتمدها الاستراتيجية الصهيونية على جبهة السينما لعقد تشتمل على النقاط التالية :

١ - اختراق اوسع لمهرجانات السينما العالمية ليس في العروض فقط بل في محاولة الاحتواء التجاري وعقد صفقات عرض الافلام وتنفيذ انتاج مشترك مع مختلف الدول والمؤسسات المشاركة في هذه المهرجانات .

٢ - تقديم المزيد من التسهيلات للشركات والمخرجين الذين يحققون أفلامهم في اسرائيل على الرغم من الازمة الاقتصادية الثقافية .

٣ - استجرار المزيد من المخرجين العرب بوسائل الترغيب المختلفة لتحقيق افلام تخدم أهداف الصهيونية بصورة مباشرة او غير مباشرة .

٤ - محاولة الوصول الى المشاهد العربي من خلال السوق المفتوحة في مصر .

٥ - شراء المزيد من دور العرض في العالم للتحكم في توجيه الافلام التي تعرضها .

٦ - السيطرة من خلال شراء اسهم شركات انتاج وشبكات التوزيع السينمائي في العالم .

٧ - توسيع مجال استخدام الشاشة الصغيرة لخدمة الاشرطة السينمائية عن طريق الشركات التي تتولى البث بالاقمار الصناعية في أنحاء العالم

٨ - محاصرة السينما العربية والسينمائيين العرب في كل مكان ومحاولة التسلل الى الدول الاشتراكية عن طريق المخرجين او مسؤولي الانتاج والمهرجانات

٩ - زيادة الانتاج الاسرائيلي والابتعاد عن طريق المخطابة التقليدية وابتكار طرق جديدة في الترويج لاقامة دولة اسرائيل الكبرى الحديثة الحضارية

هذه هي حقيقة السينما الصهيونية ، هذه هي أساليب السينما الصهيونية التي تتبعها في اسماع قضيتها المزيفة للعالم ، ومن حقنا أن نتساءل بعد هذا العرض اين هي المؤسسات والشركات السينما العربية الكبيرة ؟ واين هم السينمائيون العرب ؟ لماذا لا يحاولون ان يفندوا او يدحضوا الافلام الصهيونية المدسوسة وان يقوموا بدعاية ضخمة منظمة عن العرب ، بل على الاقل لماذا لا يحاولون تقديم افلام تعطي المشاهد غير العربي صورة أمينة وصادقة عن الانسان العربي المعاصر ، ولكنني أخالهم جميعا لا يعرفون من السينما سوى انها قصص حب واستعراض وتهريج وانها تجارة سريعة الكسب مضمونة الربح ليس غير ..

فيصل مصطفى أحمد

المراجع :

١ - جان الكسان (الصهيونية والسينما)

٢ - حسان ابو غنيمة (السينما الصهيونية)

٣ - عز الدين المناصرة (ملاحظات حول السينما الصهيونية .

٤ - جريدة البعث العدد ٧٣٣٧ صلاح دهني مهرجان برلين .

أيّها الحَبيبُ في دمشق

الى الاستاذ مدحة عكاش

أحمد سليمان معروف

كان تكريمك الذي بدأ في دمشق وانتهى في حماه ، مأثرة تفرد بها الذين أتيح لهم أن يشاركوا فيها ، وكم تمنيت أن لا أحرم منها ، وعجبت كيف لم أسمع بحدث أدبي كبير يقام على مقربة مني ، ويشترك فيه نخبة ممتازة من الادباء والشعراء جلهم من خاصة أصدقائي ، لم اسمع به الا ظهر اليوم الذي سيقام الاحتفال فيه ، ولئن فاتني شرف الاشتراك في تكريمك من فوق منصة الكلام ، او حرمت ان أكون من المتكلمين ، فإنه لم يفتني الحضور ، ولم أحرم من الاستماع ، كنت أنصت الى زملائي الادباء بكثير من الاعجاب وهم يقرظونك ويذكرون بعض مآثرك ، وكنت أحس بالغيرة من هؤلاء الأدباء كما لم أحس من قبل ، فما رغبت في حياتي ، ان أدعى للمشاركة في حفل او ندوة أو لقاء أدبي من أي نوع مثل رغبتي في أن أدعى للمشاركة في ذلك التكريم ، وربما لو علمت بموعد هذا الحفل قبل وقت مناسب ، لدعوت نفسي أو لسعيت لدى القائمين عليه لحشر اسمي بين أسماء تلك القائمة المضيئة من الشعراء والادباء كما لم أفعل من قبل .

أصغيت الى مقرظيك ، واستمعت الى كل كلمة حب زفها اليك محبوك والمعترفون بما قدمت له وما مهدت له من سبل ، مشيت بمجلتك التي أخذت بأيديهم جميعا ، واذا كان كل واحد منهم قد تكلم بما يعلم عنك او يحس نحوك ، وأثنى عليك بما أنت أهل لأكثر منه ، وذكر بالتقدير والامتنان ما أسديت له من خدمات ، فإن من دواعي حرصي على المشاركة أن أدلي بدلوي في هذا المضمار ، وأذكرك بصوت عال ما أنت ناسيه .. كان ذلك منذ ثلاثين سنة أو تزيد ، لقد نشرت لي - وعلى غير علم مني أو معرفة شخصية بيننا ، أول قصيدة ترى الناس او يراها الناس منشورة في صحيفة وما زلت - والله - أجهل كيف وصلتك تلك القصيدة ، فإني كنت وما زلت أكتب الشعر لغير النشر الا ما رحم ربي او سيرحم .

لذا كان علي أن أكرمك شعرا وأنت الذي انتزعت احدى بواكير قصائدي من مخبئها وطلعت بها لترى النور ..

وعلى أنني شبه منقطع عن الكتابة نظما ونثرا ، فإني أحس ان مناسبة تكريمك مجرض نادر لحملي على الكتابة والاجادة ، فإن عندي ماأقوله فيك ولدي الدافع المناسب ، ومن يمتلك مادة القول ودوافعه فلن تعوزه القوالب والاساليب .

لن يكون هذا الحفل التكريمي الذي أقيم في حماه آخر المطاف ، بل أعتقد انه البداية ، فقد افتتحت به مواسم التكريم ، وقص الشريط الحريري ، وأصبح الدخول مسموحا والباب مفتوحا يحق لمن يشاء ان يشترك حيث لا يحده مكان ولا زمان ، ضمن صالة مغلقة أو وقت محدد أو مراسم وطقوس تحكم الدخول ، من غير دعوات مطبوعة أو بطاقات مذهبة ، او وسيلة نقل تتحكم بالمحتفين ذهابا وايابا بين الريف ومكان الاحتفال في المدينة في عتمة الليل .

سأنضم الى هؤلاء المحتفين بك على هذا النحو ، مكبراً فيك دأبك وصبرك وصمتك ، مقدساً جدك واجتهادك وصمودك ، محيياً إخلاصك للمهمة التي ندبت نفسك اليها ، وصدقك في المسؤولية التي حملتها مختارا .

فتقبل مني هذا النوع من التكريم ، فإنه من القلب ..



دعاء للعام الجديد

شعر: جابر خير بك

ماذا ستحمل والأيام ترتحل

يا أيها العام إني خائف وجل

فمن سيدري بما في الغيب من قدر

والغيب سر بعلم الله متصل

تمضي السنون وما ينفك يثقلنا

هم الحياة ويطوي عمرنا العمل

تبقى النفوس بحب الوهم عالقة

بالأمنيات ولو ضاقت بها السبل

سر الحياة وما تخفي مسيرتها

حلم تدغدغه الأجفان والمقل

حلم قصير ولكن بعد يقظتنا

تكون أيامنا شالت بها الإبل

وغاب خلف دياجي العمر كل ضحى

لم يبق في النفس إلا اليأس والملل

الا الدموع التي تجري على زمن

زاهي الخمائل وافى شمسه الطفل

والذكريات وما فيهن من صور

عن الشباب عليها الدمع ينهمل

أيام كانت تضيء العمر صبوتنا

والقلب بالحب والآمال مشتعل

والآن غابت دراري العمر وانطفأت

أنوارها واستوى التطويل والأجل

*** *** *** ***

يا أيها العام هل تأتي بما حلمت

به النفوس لعل الجرح يندمل

فهذه أمتي ثكلى تمزقها

مخالب الدهر والأحداث والعلل

تحملت من مآسيه ومحنته

وأثقلت جيدها الأغلال والزلل

وطوقتها الدواهي وهي غافلة

وراح يفتك في أوصالها الكسل

كانت حصيلة ذاك العام قاتلة

فهل تجيء بأقساها وتفتعل

أم أن أيامك البيضاء قادمة

توحد الصف والأفراح تكتمل

نزف بشرى لمن ضحوا ومن رحلوا

ومن سقوا تربها الظامي ومن قتلوا

أم أن بين الليالي القادمات أسى

تذوب من حره الأكباد والغلل

ضقنا بآلامنا ذرعا ومزقنا
وهم الخلافات والإفلاس والجدل
تشتت أمتي حتى غدت أمما
لا المجد يذكر ماضيها ولا الأسل
ألم تكن قبلة التاريخ في زمن
أما ترعرع في أحضانها الأزل
ألم تكن لرسالات السما وطنا
حرا وفيها تسامى الوحي والرسل

فرسانها كتبوا للمجد ملحمة
وزينوا دفتر الأيام وارتحلوا
وركزوا في النجوم الزهر رايتهم
خفاقة واحتفى تيها بهم زحل
أجدادنا من خيوط الشمس قد نسجوا ذ
شال الثريا وزنار السها غزلوا
فما لنا اليوم والأحزان تقتلنا
اذا انتسبنا ويعلو وجهنا الخجل
وما لنا لم نعد نأسى لمحنتنا
ضاقت على سعة من يأسنا الحيل
كل يئن وقد أودى به قدر
كأنه تحت سكين الردى حمل

*** *** *** ***

يا أيها العام أدعو أن تهل بما
يجمع الشمل حتى ترتقي المثل
ولا تكن شامتا فيما ألم بنا
من محنة ضاع في مأساتها الأمل
وامسح جراح القلوب النازفات دما
من هول ما فعلت في أمتي الدول
هذي القلوب التي ضجت بما حملت
راحت بكل مآسي القهر تغتسل
ولم تعد بسمات الغيد تنعشها
ولا العيون اللواتي زانها الكحل
وإنما دفنت في الصدر مثخنة
من الجراح ومات الحب والغزل
*** *** *** ***
يا أيها العام ولّى العمر منهزما
خلف الظنون وشاخ الفارس البطل
فاترك له فسحة يرتاح من نصب
فقد تحمل مالا يحمل الجبل
فالروح باتت على خوف يحاصرها
والقلب مما جنى من دهره ثمل
تلك الجراح تنز اليوم قاتلة
ولم تعد مهجة ،لمكلوم تحتمل
فإقدم على أمتي واحمل لها أملا
لعل أجفانها بالوعد تكتحل

واغسل قلوب الرجال الحاكمين لها

بالحب .. إني لوجه الله أبتهل

جابر خيربك

الفيحاء

محمود نجيب الفلاح

فيحاء جئتك في شبابي طالبا
وعلى فؤادي لهفة ورغاب

وتركت من خلفي متاعب بلدتي
وبمهجتي الاهلون والاصحاب

إني الصناميّ الذي عشقَ الوفا
قلبي بها متعلق جواب

والعلم يسطع في دمشق بنوره
وبخلقها يتطهر الاغراب

فإذا علقت بحبها فلأنني
لعلومها وفنونها طلاب

فالشام ملهمة خيالا مبدعا
فيها جمال ساحر خلاب

والغوطة الخضراء أجمل جنة
بردى الحبيب بروضها ينساب

في الشام نبع حضارة وشهودها
أمويها والسور والمحراب

إني لأشعر بالهيام لجلق
في القلب وجد بالحنان مصاب

يا ساكنا في الشام لا ذقت الجوى
في حبهن فحبهن عجاب

لا تبخلن بحبكن لعاشق
ان الفؤاد بسهمكن مصاب

الحب دين في الشآم وديدن
وبسحره يتطبب الأحباب

لم أنس حبك يا شآم للحظة
ملأ الفؤاد وفي دمي ينساب

إني لأشعر بالحنان لأهلها
ما كنت يوما بالهوى أرتاب

إني بحبك يا شآم متيم
ما خلت أن الحب فيك سراب

يا شام أنت ، وفي رباك حبيبة
حرقت فؤادي ، سدت الأبواب

صفحات مجهولة من حياة الشاعر: أحمد الصافي النجفي

مذبحة لبنان أفقدته بصره.. فعاد الى العراق ليرى ببصيرته

بقلم المرحوم: زهير مارديني

ارتجف صوته مرتين وهو يحدثني ، وارتخت جفونه ، ربما على دمعة ، وملأ مقهى فلسطين (مقهى شعبي ببيروت في ساحة رياض الصلح وعلى بعد أمتار من تمثال رياض) لا أدري كيف ، جو من الشفافية الروحية والصفاء النفسي المريح ، وفي المرتين أحسست بحواجز السن تنهار كلها لأجدني أقرب ما أكون من ذلك الشيخ الذي تجاوز الثمانين ، والذي عرف الحب كأعنف ما يكون ، وعاش حياته يتغنى به ، وله، حتى اذا امتدت به يد القدر لتقربه من محبوبه (العراق) كان الضوء قد انطفأ في عينيه فقال آخر أبيات شعره :

يا عودة للدار ما أشقاها
أسمع بغداد ولا اراها

مثل هذا الحب الذي يقهر الزمن ويتخطى عتبات الفناء ، ويظل حيا في سويداء القلب ، مثل هذا الحب الكبير لا يمكن أن يعرفه الا شاعر كبير ، ولو لم يقل بيتا واحدا من الشعر .

على أن حديثنا لم يكن حزينا كله ، بل على العكس شابه مرح كثير ، وفي لحظات لمحت نظرات المقاتل العنيد تتوثب من عيني الشاعر الذي أرهقته الشيخوخة ، وكأنه نمر مسن ما زال واثقا من قوته ومضاء أسلحته ، وكان ذلك بالطبع حين أثرت موضوع قصة حياته التي لم تكتب بعد على الورق .

هاهو أمامي يتكوم على الكرسي وكأنه طيف ، بجسده النحيل ، النحيل ، بخطواته الوئيدة المنحنية ، بصوته المرتجف بثقل السنين، بشعره المبعثر والموزع بين ذقنه وشاربه وحاجبيه، بالعباءة الثقيلة تلف الجسد من الكتفين حتى أخمص القدمين ، والتي لم تفارقه منذ ربع قرن.

كان يخشى أن يتحدث عن حياته ، وكان في عينيه تساؤل من يخاف أن تكون هذه آخر كلماته ، نظر إلي نظرة من يشك ، ثم

طاوعني وحاورني .. ثم ابتسم مستسلما وراح يحكي ، ولأول مرة ، قصته كإنسان ، وحكايته كشاعر ..

قلت له : من أنت ؟

قال : ولدت في بلدة النجف سنة ١٨٩٧ في أسرة علمية دينية من ناحية الابوين ، فان ابي السيد علي الصافي ورث دراسة العلم الديني عن أجداده، حتى الجد السابع السيد عبد العزيز الذي كان أول من سكن النجف ، وقد قدم اليها من مشيخة المحمرة ، وهو من أسرة علمية كبيرة تقيم هناك تدعى (آل أبي شوكة) وقد أقام في النجف وشرع في دراسة العلوم الدينية حتى أصبح من كبار مجتهدي عصره ، وكان له فضل على العلوم الدينية ، وعلم الانساب ، حيث يروي عنه بعض معاصريه قائلا :

(.. السيد عبد العزيز النسابة)

أما جدي لأمي فهو الامام الشيخ محمد حسين الكاظمي أكبر علماء عصره وله ترجمة مفصلة في كتاب (الذريعة في علماء الشيعة) للعالم المؤرخ (آغا بزرك الطهراني) ، ويذكر له عددا من المؤلفات من بينها كتاب (هداية الانام) وهو في علم الفقه ويقع في بضعة مجلدات ، والشيخ محمد حسين هذا ينتمي الى أسرة (ال معتوق) اللبنانية التي تعيش في بلدة (الزرارية) من قضاء صور ، وقد قدم الى النجف طلبا للعلم

النشأة الاولى :

لقد تعلمت شيئا يسيرا من قراءة القرآن الكريم على يد (الشيخة) اولا ، ثم تعلمت الكتابة ، وأكملت قراءة القرآن الكريم في (الكتاب) وكنت على صغر سني أنوب عن المعلم في اعطاء درس الخط للتلاميذ وقد توفي ابي في مرض الكوليرا الذي اجتاح العراق ، وكان سني يقل عن عشر سنين عام ١٩٠٧ ، فكفل العائلة أخي الاكبر محمد رضا الصافي ، ثم خرجت من الكتاب واقتفيت سيرة آبائي في دراسة العلوم القديمة ، فدرست الصرف والنحو والمنطق والمعاني ، والبيان وأصول الفقه الاسلامي على يد عدد من الاساتذة .

وكان من أعظم أساتذتي العلامة المجتهد الاكبر السيد ابو الحسن الاصفهاني .

كنت ضعيف البنية منذ الطفولة ، وقد تقدمت في تلك العلوم لدرجة كان الكثيرون يأملون أن أكون خلفا لجدي لأمي الشيخ محمد حُسين الكاظمي ، ولما كنت ضعيف البنية منذ الطفولة ، فقد كانت تلك العلوم المعقدة ترهق أعصابي ، مما أدى الى اصابتي قبل الحرب العالمية الاولى بضعف عصبي شديد جعل الاطباء يشيرون على أهلي بأن أمتنع عن تلك الدروس واكتفي بالمطالعة بقصد التسلية فقط ، فاتجهت منذ ذلك الحين الى قراءة الادب القديم والحديث وأقبلت بنهم على مطالعة الصحف والمجلات والكتب العصرية حيث رأيت عالما جديدا وآفاقا واسعة تتجلى أمام عيني .

من أهم المجلات التي تتلمذت عليها حين ذاك (المقتطف) و (الهلال) ومنذ ذلك الحين وأنا أواصل قراءة كل ما يجد في الثقافة العصرية سواء كانت علمية أو أدبية او سياسية ، كما رحت أواصل قراءة الصحف يوميا وكأنها فرض واجب علي رغبة مني في الاتصال بكل ما يجد في العالم .

مطالعتي للصحف والمجلات في سن مبكرة وتعرفي الى الحياة العصرية جعلتني أشعر بواجبي نحو بلادي ، لاسيما وقد احتل الانكليز العراق في ذلك الوقت ، فما كادت تضع الحرب أوزارها حتى تفاهمت مع عدد من شباب النجف وبعض رجالها وفي طليعتهم رفيقي الذي كنت ألازمه سنوات رغم أنه أكبر مني سنا وعلما ، وهو المرحوم محمد رضا الشبيبي رئيس المجمع العلمي العراقي سابقا ، وكان من رفاقي المرحوم محمد صالح الذي شغل وزارة الداخلية فيما بعد .

المشاركة السياسية :

تفاهمت مع الشبيبي وسعد وغيرهم على

أنه من الضروري أن نغتنم فرصة الاستفتاء المقبلة على مصير العراق بناء على شروط (الرئيس الامريكي ويلسون) الاربعة عشر ، ومنها ان لكل شعب حق تقرير المصير بنفسه ، وقد اقنعت أخي الاكبر السيد محمدرضا بالسير معنا في هذا الطريق ، ثم أقنعنا العالم الشيخ عبد الكريم الجزائري بالتضامن معنا ، وكانت له مواقف بارزة في تطور أحداث العراق فيما بعد ، وهكذا انطلق عددنا يزداد مع الايام ، ورحنا نتصل بزعماء العشائر وبطلاب الاستقلال .

وعندما قدمت لجنة الاستفتاء الى العراق حاول الانكليز بواسطة أنصارهم المماطلة والتلاعب والانحراف عن النهج الصحيح لاستقلال العراق ، وقد أدى سوء التفاهم بين الوطنيين العراقيين والانكليز الى عقد الاجتماعات السرية تمهيدا للثورة .

كانت تلك الاجتماعات تعقد في بيتنا الذي كان أحد مراكز مؤتمرات الثورة فيما يخص ناحية النجف ، وكان لنا اتصال بسائر مراكز الثورة في سائر المدن العراقية ، وكنا نكاتب الثوار بواسطة (الحبر السري) الى أن عقد اجتماع كبير في الجامع الهندي بالنجف ، فألقيت فيه خطب حماسية وأشعار مثيرة ، وعلى الاثر أصدر الحاكم الانكليزي في بغداد أمرا الى حاكم النجف بالقاء القبض على الفئة المحرضة ، وكان من بين هذه الفئة اسمي واسم سعيد صالح، ولم أكن أعلم بذلك حين ذاك ، ولكني علمت هذا منذ عشرين سنة ، حينما قرأت ذلك في عدد من مجلة الحرب العظمى التي كان يصدرها الاستاذ عمر ابو النصر وكان ذلك العدد خاصا بثورة العراق .

ثم أخذت بذور الثورة في العراق سريان النار في الهشيم حتى اندلعت لاول مرة في بلدة (الرمثية) ثم امتدت الى معظم انحاء العراق وهنا أصبحت الاجتماعات في بيتنا علنية من قبل الزعماء والضباط الذين كانوا يساهمون في توجيه الثوار ، وقد كان ذلك في أوائل ايلول سنة ١٩٢٠

وبعد ان استمرت ستة أشهر ، ساق الانكليز قوة كبرى ، اضطر الثوار على أثرها الى الانسحاب من مواقعهم متجهين الى جهة الكوفة ، وعندما أصبحنا نسمع المدافع تطلق بين (ذي الكفل) و (الكوفة) عقدنا أنا ورفيقي سعد صالح ، ورفيقان آخران قررنا على اثره مبارحة العراق حتى نرى كيف ستتطور الامور .

قطعنا الجزيرة بين دجلة والفرات واقتربنا من حدود بلدة (الحي) الواقعة على ضفاف دجلة فانفصل عني رفيقي سعد صالح وذهب مع رفيقه الى (العمارة) ومنها الى الكويت ثم عادا فيما بعد الى العراق .

أما أنا فواصلت سفري الى (الحي) بعد أن غيرت هيئة لباسي ، وانتقلت منه الى (كوت الامارة) ومن هناك دخلت الحدود الايرانية عن طريق جبل الاكراد ، وبعد شهر تقريبا وصلت الى طهران فقرأت في الصحف الفارسية نبأ دخول الجيش الانكليزي الى بلدة النجف واعتقالهم خمسة من زعمائها كان أحدهم أخي الاكبر السيد محمد رضا .. وقد وضعوه في سجن خاص في الكوفة ووضعوا المشنقة أمامه تهديدا له ،وجزاء له ليجعل بيته مركزا للثوار.

وبعد أن أمضى أخي في السجن خمسة أشهر أفرج الانكليز عنه ، بعدما قرروا اعطاء العراق الاستقلال وعندما خرج من السجن ارسل لي الى طهران تلك الابيات الخمسة طالباتخمسيها، فخمستها وأعدتها اليه، فنشر الاصل والتخميس في مجلة (لغة العرب) للعلامة الاستاذ الكرمي ، وهذه الابيات مثبتة في ديواني الاول (الامواج) وفي ديواني السابع (حصاد السنين) أما أنا فعندما حللت في طهران لم اشأ أن اضيع الوقت سدى ، فأقبلت على تعلم الفارسية من الافواه ومن مجالسة أدباء الفرس .

بعد ستة أشهر من اقامتي بطهران طلبت وزارة المعارف هناك عددا من المعلمين على أن يؤدوا الفحص أولا ، فتقدمت بطلبي للتعليم وأجروا لي فحصا أعطوني على أثره أعلى درجة في

النحو وهي درجة العشرين ، وعينوني مدرسا اختصاصيا للآداب العربية في ثلاث مدارس ثانوية هي (المدرسة العلمية) و (المدرسة السلطانية) و (المدرسة الكمالية) وكنت أدرس في اليوم ساعتين ولكن ضعف بنيتي القديم مع المرض العصبي الذي أصابني في العراق منعاني من مواصلة التعليم فاستعفيت بعد سنتين وأخذت أتمرن على الكتابة بالفارسية .

بعد ستة أشهر تقريبا شرعت أكتب في أمهات الصحف والمجلات هناك ، وفي طليعة تلك الصحف صحيفة (شفق سرح) في طليعة المجلات مجلة (ارمغان) لسان حال النادي الادبي في طهران ، وعلى ضوء ما كنت أنشر من مقالات أدبية ، انتخبت عضوا في ذلك النادي ثم عينت عضوا في لجنة التأليف والترجمة في عهد وزير المعارف السيد محمد تدين .

اتفقت مع الوزير على ترجمة كتاب (علم النفس) لعلي الجارم ، وأحمد أمين لقاء أجر معين ثم ترجمت رباعيات الخيام نظما من الفارسية الى العربية ، تلك الترجمة التي طبعت حتى الان خمس طبعات مع الاصل الفارسي ، وكانت احدى الطبعات تحتوي مع الاصل الفارسي على الترجمة الانكليزية والافرنسية والالمانية مضافة اليها لوحات فنية رائعة ، وحين نفذت هذه الطبعات منعت اعادة طبع تلك الرباعيات عندما رأيتها تضر بأكثرية القراء الذين كانوا يسيؤون الاستفادة منها اذ كانوا يقرأونها في الحانات ويزيدون من معاقرة بنت الحان ، بينما كنت أهدف من الترجمة الناحية الفنية والجمالية فقط ، ولقد ضحيت بجهودي في الترجمة والمنفعة المادية في سبيل المحافظة على القراء خلقا وعقلا وجسما .

العودة الى العراق المستقل :

بعد ان مر علي ثماني سنوات جاءني الطلب من حكومة العراق ومن أصدقائي من زعماء الثورة يدعونني للعودة للمساهمة في خدمة العراق الذي أصبح مستقلا ، فدت بدافع الحنين وبدافع خدمة الوطن سنة ١٩٢٧ وعندما بلغت الحدود العراقية ، كان زيي قد تأثر بالزي الفارسي جاءني رؤساء المخفر العراقي ليفتشوا حقيبتي فقلت لهم : انتم تفتشون حقيبتي وأنا فرح بكم جد الفرح لأني رأيتكم طليعة العراق المستقل ، ولقد ذهبت الى ايران لاجئا من ثورة العراق الاولى حتى اشاهد هذا اليوم الجميل .

عندما سألوني عن اسمي وشخصيتي وشرحت لهم ولم تساقطت دموعهم من الفرح وأخذوني الى المخفر واحتفوا بي ثم ودعوني بكل شعور فياض .

عندما وصلت الى العراق حاولت وزارة العدلية التي كان على رأسها السيد داوود الحيدري تعييني قاضيا شرعيا في بلدة الناصرية ولكن جو العراق الشديد (والدوسنطاريا) التي كانت اصابتني في طهران ، مضافا الى أمراضي السابقة هاجماني ومنعاني من القيام بتلك الوظيفة فقضيت ثلاث سنوات أعاني اقسى الالام والامراض وكان أشدها في السنة الاخيرة حيث وقعت طريح الفراش لا أستطيع الحراك أثناءها وكاد أهلي أن ييأسوا من شفائي الى أن قيض الله لي طبيبا سوريا هو الدكتور سعد الدين عيسى ، فأشرف على علاجي وبعد أشهر قمت من فراش المرض فأشار علي بالمجيء الى سورية ولبنان للاستجمام ، فقدمت الى دمشق عام ١٩٣٠ وبقيت منذ ذلك التاريخ اتنقل بين البلدين وقد دخلت في اثنائها بضعة عشر مستشفى سواء في لبنان او في سورية او القدس دون أن أحصل على شفاء كامل يشجعني على العودة الى العراق ، على أن ذلك لا يهم عندي طالما أنا القائل :

إني امرؤ عربي والعلى نسبي
في أي أرض ارى عربا أرى وطنا

ولما حدثت ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق ، وكنت حينذاك في لبنان بادرت الى المساهمة في تأييد الثورة ، برغم ماكنت أعانيه من أمراض فكنت على رأس مظاهرة طلاب الجامعة الامريكية

في بيروت ثاني يوم قيام الثورة ، كما كنت أتعاون مع بعض العناصر القومية في لبنان بارسال متطوعين الى العراق ، وعندما انتهت الثورة وأعقبتها (حرب فيشي) وقرب الانكليز من لبنان فر أصحابي الذين كانوا يتعاونون معي الى برلين وروما ، اما أنا فلم أكن أستطيع الفرار ، ولذا اعتقلني الانكليز لدى دخولهما الى لبنان ووضعوني وديعة في سجن الفرنسيين في غرفة على سطح ادارة الامن العام الفرنسية تمهيدا لنقلي الى معتقل (الميه وميه) وبعد ان مر على سجني شهر ونصف الشهر نقلت عند اشتداد مرضي الى مستشفى (سان جورج) وتوسطت حكومة العراق عند الانكليز للافراج عني ، فخرجت من السجن وكان رفيقي السري في السجن هو ديواني (حصاد السجن) الذي طبع أكثر من مرة ، وقد توجته بهذين البيتين مشيرا فيهما الى سجن أخي الاكبر وهما :

سجنت ، وقبلي في العلى سجنوا أخي
وآمل في العلياء أن يسجنوا الابنا
اذا لم نورث تاج مجد وسؤدد
لابنائنا طرا ، نورثهم سجنا

..

هذا موجز من تاريخ حياتي ، أما من ناحية الشعر ، فقد قدمت منه حتى الان للمكتبة العربية عشرة دواوين مطبوعة بالاضافة الى ديوانين معدين للطبع ، وكانت بيئتي في النجف بالاضافة الى طابعها الديني بيئة أدبية ايضا ولا سيما فيما يختص بالشعر الذي كنت أسمعه في كل مجلس وناد ، أضف الى ذلك أن أسرتي كلها تتعاطى نظم الشعر ، فمن الاسرة نمت في الروح الشاعرية منذ الطفولة ، أما شعري فأرى أنه فضلا عن تعبيره عن شخصيتي الخاصة، يستمد من ثقافات ثلاث وهي :
(الثقافة القديمة ، والثقافة الحديثة ، والثقافة الفارسية) وعلى الخصوص الثقافة الفارسية ، فان السنوات الثماني التي قضيتها في طهران لم أقضها في درس الفارسية وآدابها فقط ، وانما قضيتها بأن عشت تلك المدة متغلغلا في حياة فارس كواحد منهم مع التمسك الشديد بعروبتي ، وهذا هو الذي ساعدني على أخذ الروح والطبيعة والمجتمع بكل نواحيه من أعاليه الى أدانيه ، وأكثر مما كنت أستطيع أخذه من الكتب الفارسية فحسب ، بالاضافة الى تلك المدارس الثلاث التي أمدت شاعرتي فان هناك مدرسة أعظم منها وهي (مدرسة التشرد) فان الحياة المضطربة نتيجة لأمراضي المتواصلة وعدم الاستقرار ، كل هذا جعلني أدرس الحياة دون أن أقتصر على ناحية واحدة من نواحيها ، وقد اعترفت بفضل تلك المدرسة العظمى ، أعني (مدرسة التشرد) علي في أبيات قلتها منذ عشرين عاما وهي :

عذبت في نفس يعز قنوعها
يقظاتها تلد البلا وهجوعها
أبدا تطوف فلا تفوز براحة
ومعيشة الالام لا تسطيعها
أقسمت لي يا رب عيش تشرد
لأطوف اسرار الدنا ، فأذيعها

..

أورد الصافي في حديثه عن قصة حياته لمحة عن سجنه ، وتعتبر هذه الصفحة ، صفحة السجن من الصفحات المطوية والمجهولة من حياة هذا الشاعر الصاخبة .

كان ذلك عام ١٩٤١ والحرب قائمة على قدم وساق بين الحلفاء والمحور ، وقامت السلطات الحليفة التي دخلت سورية ولبنان بعد عهد الفرنسيين (الفيشيين) باعتقاله ، فأما التهمة الرسمية التي كان بها اعتقاله فانها شبه النازية .

كان حصاد الشاعر في سجنه الذي دام شهرا وثلاثة عشر يوما هو حقا أغزر مجموعة مما نظم شاعر عربي في السجن وانفس مجموعة ، سعة معنى وغرابة خواطر وصور .

روى الصافي في هذا الشعر قصة نفسه وما عرض في هذه الايام الثلاثة والاربعين التي قضاها بين الجدران الموحشة رواية واقعية تتشح

فيها الحقائق بسربال الخيال ، ويمكن تقسيمها على قصرها - ثلاثة فصول - يدور أولها على السبب الاصيل لدخول الشاعر السجن (وهنا يدرك الشاعر ان مشكلته من مشكلة قومه) ويتعلق ثاني فصولها بحياته في السجن ثم بسجنه في المستشفى بعد مرضه ، واما ثالثها فأبيات ارسلها في وداع السجن .

وفي خلال ذلك كله تنتشر عبقرية الشاعر لتلم بكل شيء مما يعاني حوله او مما يتمرس به في جسمه ونفسه ، أو مما يتصل بدواعي نزوله هذه الغيابات ، فيصف غرفته الواطئة السقف (التي تحب في الضيف القصر) ويفتخر بسجنه اذ (يقضي فيه حق اقوامه) ويعمل على تكسير اصنام المستعمرين ويصف زملاءه في هذا القبر ، ثم مرضه ونقله الى المستشفى وذلك الشرطي الذي نصب حارسا عليه (كأنه اعلان على بابه) ويصور ثقل هذا الليل الذي يهبط عليه مرهقا موحشا بين الجدران الاربعة ، المنضمة عليه كطوق الحصار .

وانه لمن الدعوى الخائبة ان نحاول سكب الجمال الذي تفيض به خواطر هذا الشعر وصوره في سطور من نثر ، فالنثر اذا فك نظامه سقط موضع التعجب منه كما يشهد استاذنا الجاحظ ، بل لا يغني استشهادنا ببعض أبياته مهما لطفت وراعت فان الايماضة الخاطفة لا تقوم مقام التأمل العميق والامتلاء الطويل ، ولكن وجد لنا العذر من قال (مالا يدرك كله لا يترك جله) فنحن دالون اذا على خصائص المتعة وأسرار الفتنة في هذا الشعر الذي أطلقه الصافي وهو في السجن .

لنصغ الى الصافي وهو يشرح لنا حكاية " مفاوضات الدول الاربع " في سبيل الافراج عنه

حكومة لبنان قد راجعت
فرنسا لفكي فلم تسطع
وراحت فرنسا الى الانكليز
تراجعهم ، جل من مرجع
وقد راجع الانكليز العراق
ولليوم بالامر لم يصدع
فقلت : اعجبوا أيها السامعون
ويا أيها الخلق قولوا معي
أمن قوتي صرت أم ضعفهم
خطيرا على دول أربع

فهذا من أوجع السخر الذي انطوى على الجد ، وناهيك بالاستفهام التهكمي الذي يقبل مفاجئا في خاتمة الابيات :

ثم لنسمع قوله :

رمونا كالبضائع في سجون
وعافونا ولم يبدوا اكتراثا
رمونا في السجون بلا أثاث
فأصبحنا لسجنهم أثاثا

وهذا ايضا من بديع التخيل الفكه الذي يأخذ الظالمين بقهقهة موجعة لتكديسهم البشر في سجونهم كأنهم أثاث لها لا لحم ولا دم يحس ويعقل ..

ومن لا يعجب من فكاهة الشاعر وسخريته حين يقول :

حسبت لطول السجن أني في قبر
فان يخرجوني منه آمنت بالحشر

. فهذا الايمان بالحشر لهذه المناسبة ظريف جدا وأظرف مافيه انه يسوقه على سبيل اغراء من سجنوه بأن يطلقوا سراحه ، وهكذا تراه يعبث بهم هذ العبث الرائع ..

والمتعة الثانية التي أنت واجدها في شعره السجني ، دقة الوصف وغرابة التخيل ، خذ مثلا قصيدته (غرفة أم صندوق) وتأمل ذلك التصوير الباهر للغرفة الضيقة وسقفها الهابط ، ثم تأمل ذلك التصوير (للشنتة) بعد ما بث فيها حياة من حياته فهي تنطق .. تسأله متى السفر؟ وهي تشكو له كربتها وتبكي :

وناهيك بقوله :

تبكي بعين حالها

ودمعها قد استتر

كادت من الغبار ان

تفقد عيناها البصر

..

وبعد ، فكثيرة هي المتع والفتن التي أنت واجدها في شعر الصافي (السجني) متع معنوية وفتن عبارية ، ولا تغرك البساطة ، ما يكون هو السهل الممتنع هو السحر المحير ، والصافي أشعر شعرا من أن يزيف نظمه لدى عينيك بالزخرف كما يزيف الخرز البراق ، بدعوى انه الجوهر يقول الصافي :

البست أشعاري لباسي ساذجا

كي لا أخادع باللباس الرائي

لم أستطع سبق الورى بزخارف

فسبقتهم ببساطتي الحسناء

.. ولقد سبق لي وأنا أسمع من الصافي شعره الذي قاله في السجن ان قلت له :

(هذا الشعر ان فاتني شرف نظمه فلم يفوتني شرف نشره ،) بعدها رحت أروج لهذا الشعر وقد استقبل من قبل النقاد كأحسن ما يكون الاستقبال .

أهلا بسجني لشهر أو لأعوام

فانما يوم سجني تاج أيامي

قضيت حرا حقوق النفس كاملة

واليوم في السجن أقضي حق أقوامي

ان يسجنوني فجرمي ياله شرفا

اني أحارب قوما أهل اجرام

" محمد " كسر الاصنام شامخه

من لي بتكسير (الوردات) كأصنام

يكفيهم حطة ان ليس يتبعهم

منا سوى كل منحط ونمام

يا دولة يتساوى في نذالتـه

جنديها الفدم في مندوبها السامي

..

وهكذا تجد في هذا الشعر قبسا من قوة النفس ووميضا من تحدي الاضطهاد وعزفا حمسا حارا في تمجيد التضحية على مذبح الحرية ولن تجد ذلك عند شاعر واحد من شعراء السجون في أدبنا قديمه وحديثه .

تحسه وهو ينفرد بألمه ، بأنه فردا ليس الا ، وان هو أدرك ان مشكلته من مشكلة قومه تحسه فردا يتألم ، وفردا يغضب ، وفردا يسخر وفردا يعبث ، وقل ان تتراءى له من أمامه او ورائه أو عن جانبيه أخيلة من شعب تتحرك .

فالصافي ما برح في هذا الشعر تغلب عليه الغنائية الفردية .

على ان لهذه الغنائية الفردية روعتها ومنفعتها أيضا ، فالقوت الروحي الذي يغذي فردا ليتقوى به على مجابهة الظلم جدير كذلك بأن يغذي شعبا .

وهناك أيضا صفحة مطوية من حياة الصافي تكاد تكون غائبة عن دارسي شعره وأدبه وهي تأثره بتنكر الشعب الفرنسي لديغول في آخر أيامه .

لقد حدث مرة ان عرفته بمراسل مجلة (الباري ماتش) جورج أفيل فقال له الصافي : (كنت أتابع بشغف كبير سيرة ديغول منذ اول الحرب العالمية الثانية ، وأعجب بتصرفاته بالرغم من أني كنت أسير بالسياسة في خط معاكس لخطه .. فأنا مع المحور وهو مع الحلفاء .. ولكني كنت أشعر ان للرجل شخصية مستقلة ولم يكن تابعا ..

وقد تنبأت حينئذ بأن ذلك التصرف من قبل ديغول سيؤدي حتما الى التفاهم مع الغرب ويمهد لايجاد كتلة تقف بين الشرق والغرب كما جرى ذلك فيما بعد .. حيث برزت على مسرح السياسة العالمية دول عدم الانحياز ..)

وهكذا أخذت مكانة الرجل تزداد سموا في نفسي على مر الايام ، الى ان كانت المؤامرة اللئيمة الاخيرة التي أدت الى تخليه عن الحكم ، وجاءني بصورة عفوية الشطر الاول من مطلع قصيدة أكملت فيما بعد وهو :

(سقط السيف بعد طول القراع) ثم تتابعت

أبياتها .

وأما ميزة القصيدة فيما أعتقد فهي انها سلطت اضواء على بعض اسرار عظمة ديغول ، تلك العظمة التي يؤمن بها كل شخص في العالم دون ان يستطيع شرح اسرار تلك العظمة .. وهذا أحد الاسباب التي جعلت الجنرال ديغول يتأثر بها ويبدي هذا الشعور النبيل نحوها في رسالته البليغة التي بعثها الي جوابا على قصيدتي التي أوضحت فيها الجوانب الايجابية والمظاهر السلبية وأضيف الى ذلك ان تلك الاسرار التي أوضحتها القصيدة عن عظمة ديغول تشير الى أنه وضع منهاجا في السياسة الحكيمة العادلة أمام زعماء السياسة في العالم اذا أرادوا ان يكونوا منصفين وينصفهم العالم والتاريخ ، فلا حكم أصدق من شعور العالم ولا قاضي أعدل من التاريخ .

بعد هذا الحديث الذي افضى به الصافي الى مراسل (الباري ماتش) اقترحت عليه ترجمة كل هذا الى الفرنسية فوافق ، فذهبت على الفور الى مكتب الاستاذ جورج نقاش صاحب جريدة الاوريان ورويت له ما جرى فأقر عملية النشر وطلب مني أن أقوم بهذا العمل على أن يعيد النظر بنفسه فيما كتبت ليصحح .

أعجب الاستاذ نقاش بما كتبت ، واجرى عليه قلمه وأمر ان تخصص له الصفحة الادبية الاسبوعية التي تصدر يوم الخميس من كل أسبوع وكتب بقلمه كلمة تقديرية عن الشاعر العربي أحمد الصافي النجفي .

كانت القصيدة بعنوان (خذلان ديغول) او (فشل فرنسا) وفيها يقول الصافي :

سقط السيف بعد طول القراع
وخلا الساح من حكيم شجاع
فلتودع حضارة الغرب نبلا
ولتسلم قيادها للرعاع
وليسدها الظلام روح وعقل
بعد نكرانها لذاك الشعاع
أنت عرفتنا السياسة صدقا
بعد تعريفها لنا بالخداع
مثلا كنت بيننا ورسولا
لك نهج كالوحي ، كالابداع
ما تمسكت بالرئاسة قسرا
بعدما بايعتك دون امتناع
ولكم فزت بالرئاسة طوعا
ان يتلها باقي الورى بالصراع
عجبا قد ظهرت في عصر فوضى
فمحوت الظلام بالاشعاع
بك عهد الفرسان في الغرب ولى
جاء عهد الخنوع ، عهد الضياع
فارس القول ، فارس الرأي ، فذ
فارس السيف ، والحجى واليراع
أصبح اليوم للثعالب صوت
اذ خلا الغاب من زئير السباع
ليس بدعا أن يخذلوك ضلالا
كم شكا الحق قلة الاتباع
ولئن تعتزل فهيهات تخفي
انت ملء الابصار والاسماع
بطلا كنت في اعتزال وحكم
لم تزل في كليهما في ارتفاع
يسقط الحاكمون بالعزل أما
عرفوا قبل حكمهم باتضاع
يرفع الحكم كل وغد وضيع
رفعته وضاعه الأوضاع
سوف تبقى ذكرى حضارة غرب
ان تسده حضارة الاطماع

وعاد الشاعر الى العراق ، وقضى هناك ودفن في النجف الاشرف ، ولكن شعره ما يزال حيا بيننا تتناقله الاجيال ، وتتغنى به فقد كان شعرا مميزا وجديرا بالدراسة .

زهير مارديني



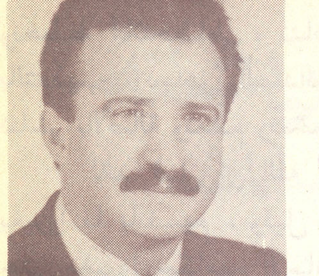
الكوخ

شعر: محمد منذر لطفي



وكوخٍ.. ركبتُ إليه الصعابَ   على سفحِ رابيةٍ قد غفا
يؤدي إليه طريقٌ عجوزٌ   تحفُّ به الحورُ أنّى مشى
تعيشُ به الذكرياتُ العذابُ   نشاوى.. وتجترُّ عمراً مضى
إذا هدهدته أغاني الرياح   أعاد إلى النفس رجعَ الصدى
غزته السنونو بأسرابها   فربَّ أغار.. وربَّ نأى
تضاحكُ أبوابُه والرفوفُ   ونافذةٌ قد طواها الكرى
لقد عشّشتها طيورُ القفار   فأمسى لها السكنَ المبتغى
به مُسكِران.. عبيرُ الجمال   وعطرُ الأزاهيرِ أمّا فشا
نديماي فيه أغاني الهزار   وطيفُ النسيم إذا ما سرى
وشباكُه.. صبواتُ الضياء   وقنديلُه.. قد علاه الصدا
ومرآته مشهدُ حبٍّ مضاع   حوت في الترائب سرّاً ثوى
وفي ركنه صورةٌ.. ضمّها   إطارٌ قديمٌ عراه البلى
تمثّلُ غانيةً في العراء   تريشُ السهامَ لظبيٍ عدا
تحيطُ بها النخلُ.. كاهي الرقاب   نقيّ السريرة.. حلوَ الجنى
وعودتُه.. العودةُ المشتهاةُ   لحونٌ.. وكأسٌ.. وأشهى الرؤى
وطاولةٌ.. وصحافٌ عتاقٌ   ومتكأٌ غاص حتى الثرى
ينامُ.. إذا ما أفاق النهارُ   ويصحو.. إذا ما النهارُ غفا
تركتُ يراعي به شارداً   فعبَّ من السحر حتى ارتوى
بقلبيَ أحفظُ لوحَ المرآة.. أفدي مزارَ الهوى والهنا
بروحيَ أفديكَ.. يا متحفاً   رأى الطرفُ من سحره ما رأى..!

★ ★ ★



التاريخ العربي

بقلم : سليم الخراط

يكاد المتتبع لتاريخ العرب الحديث ان لا يرى فيه سوى الشكوى الواحدة والدائمة والممتدة على مدى أكثر من قرن ، شكوى من القدر الغشوم، الذي قلبَ أذلّةً مَن كانوا أعزّة الارض ، فجعل من عرب الفتح شعوبا مستضعفة ، وشكوى من الدول الكبرى التي تهددنا ولا تقوى على رد بلاها او الاستقلال والتحرر منها ، وشكوى من حالة الفقر التي تعيشها مجتمعاتنا ، ولا نستطيع الخروج منها ، وشكوى من الجهل الذي ما زلنا نتحدث عنه ولا نعرف كيف يغادرنا ويبتعد راحلا عن عقولنا ، وشكوى من المرض الذي يفتك بجسومنا ، فلا يفلح الدواء او الدعاء في انقاذنا منه ، وشكوى من التخلف الذي جعلناه يعم جميع ميادين حياتنا ، فترانا لا نفتح فما الا للحديث عن التخلف العقلي او الاقتصادي او السياسي او التكنولوجي، حتى لتحسبه اصبح روحا ثانية تسكن أجسادنا ، وشكوى من الهزائم التي نحصدها، وشكوى من الانتصارات التي تحصدنا ، وشكوى من التحجر والتعصب والتصلب المذهبي ، وأخرى من الانفتاح والاستلاب العقائدي ، وشكوى من جفاف وشح منابع الابداع والكشف والاختراع ، واخرى من الاسهال في تسويق النظريات والسرعة في فبركتها ، وشكوى من التبعية الاقتصادية والسياسية التي نعيشها ، وأخرى من التضحيات المفروضة علينا باسم استقلالنا ، وشكوى من الخنوع الذي يتيح للآخرين التحكم بنا، وأخرى من عجرفتنا وغرورنا اللذين يعزلاننا عن الآخرين، وشكوى من نقص الموارد وفقر الميزانيات، واخرى من فيض الاموال المجمعة لدينا والتي تفتك بنا .

منذ أكثر من قرن لم تضعف ثقتنا بالعلم والتقنية ولا بالتقدم والحضارة ، نردد الادعية والشعارات ونجدد العهود ، نقدم الاضاحي ونبيت الاستخارات كي يكونوا في عوننا ، ولكننا لم ننتصر ولا اصبحنا مستقلين في الاقتصاد ، ولا فتح الله على قلوبنا، فأصبحنا بنعمته اخوانا في دولة واحدة، ولا غلب العلم فينا الجهل ، فبتنا نفكر بعقلانية ، قتل مفكرونا أنفسهم سعيا لها واليها ، لم تغادر عقولنا الخرافة ، ولا هجرنا الفقر والمرض والظلم والحسد ، والانانية والجشع ، لم نصبح بلادا مصنِّعة ولم نبقَ بلادا زراعية ، لم نَصِرْ أهلَ كهانة ولا اصبحنا أهل الحكمة ، لم يعد فينا من يؤمن بعقيدة، ولا ذهب عنا تعصبنا وضيق افقنا ، ولم نبعث وها نحن اليوم نمثل في يوم كأنه يوم الحساب .

الصدق في أننا كنا نعرف علة الجهل ولم نَمْحُ الأمية فينا ، ولكننا صبَّينا على العقل والقلب لوحا من الرصاص، يردع كل محاولة للمواصلة والاتصال وتبادل الرأي والافكار ، نعم كنا نعرف علّة الفقر والمرض ، فلم نُلْغِ عدم المساواة ومصادر الظلم ، ولكننا وجدنا دائما أسبابا لنا مخففة، بل ومحاسن ومنافع للتمييز بين الناس ، واخضاع بعضهم للبعض الاخر، وقتل مشاعر الود فيهم والأخوّة ، أجل كنا نعرف وسائل النهوض الاقتصادي والصناعي والزراعي والتجاري ولكننا لم نستثمرها، بل استسهلنا تكوين الثروات عن طريق التصدير والاستيراد . نتحدث عن نمو الدخل القومي، ونقصد به نمو العمولات ، نتذاكر في أسباب النهضة العلمية والادبية والتكنولوجية

ونخطط للانحطاط ، ننادي بالتسامح ،وتتلذذ بالتعذيب ، نجاهر بالصداقة ونستمر في الاعتداء ، نفاخر بالأصالة ونعظّم ونفخّم الاقتداء ·

لقد قيل إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وقيل إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا حكامهم الاجانب بحكومات وطنية ، صاعدة من قلب الشعب ومحيطه · وقال آخرون ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا وسائل عملهم المتأخرة،ويستبدلوا الصناعة بالزراعة والتقنية بالمهنة، واليوم قدتغير ما بأنفسنا حتى لم نعد نتعرف عليها في أية مرآة ·· وأصبحنا لا نميز ولا نتميز عن أسيادنا بشيء في المظهر والمشرب المادي والفكري ،وتغير حكامنا مرات وتبدل أصلهم الاجتماعي ومنابتهم القومية والطبقية وأفكارهم ونظمهم وغاياتهم ·· فصاروا أعرابا بعد أن كانوا عرب الكيان الواحد. والاصل الواحد والتاريخ الواحد،وانقلب اقتصادنا رأسا على عقب ، فاندثر المحراث لصالح الجرار،والطنبر العربي لصالح الشاحنة،والحنطور لصالح السيارة ، والنول اليدوي لصالح المصنع الآلي،والسيف اليدوي لصالح البندقية والصاروخ الراجم ، ومع ذلك لم تتحسن كثيرا نتائج معاركنا،ولم يتغير وضعنا الدولي،ولا حتى مكانتنا التي تسير نحو الاسوأ،وهكذا نكون قد حافظنا بكل إباء على تدهورنا ·

فالتغير الذي أردناه تبديلا جذريا، جاءنا وانقلب علينا خرابا عاما ، أصابتنا غواية التجديد، فاعتقدنا اننا لو هدمنا البيت العتيق الذي لم يعد يسترنا ، فسوف نعيش في قصر منيف واسع الارجاء ، لم نوعد به ولا عملنا لتشييده ، بل اقتتلنا عليه حتى قبل أن ندركه ، وهو صورة وسراب يلوح لأعيننا ، وما زلنا نقتتل اعتقادا بأنه في نهاية المسار ·

لقد رفضنا في الحقيقة أنفسنا،وتقمّصنا شخصية غيرنا ، فكّرنا بعقله وعملنا بيده ، ففقدنا القدرة على التعرف على أنفسنا وعلى معرفة أترابنا، أضعنا أمكانية التحكم بمصيرنا ، وسلّمنا مستقبلنا الى المجهول، ورضينا أن يكون قدرنا أن نخوض بدماء بعضنا البعض ·

نحن بحاجة الى أمر واحد ·· أن نتصالح مع أنفسنا،حتى ندرك واقعنا،ونحدّد أهدافنا بما يخدم كياننا ، ونمسك بأيدينا خيط ذلك الساحر الذي يلعب بنا ، ان منبع مصائبنا كلها هو عدم قناعتنا بذاتنا ، ومنه تصدر تلك النرجسية خاصتنا والتي ليست اكثر من تصوير لذلك الرفض المقلوب للذات العربية ·

سليم الخراط



يا شاعراً يعشق الإلهام ريشته

شعر: عيسى علي سلمان

الى الحاضر في خيالي مهما بعدت المسافات وكبرت الأبعاد .. الى المقيم في ذاكرتي مهما شط المزار وتتالت الايام والسنون .. الى من لايزيدني كرور الأيام وتعاقب الليالي الا شوقا اليه ، وتمسكا به واعجابا بملكاته وكبره وألقه .. الى أخي الرمز الشاعر ابراهيم علي سلمان رئيس عصبة الادب العربي في البرازيل .. أرفع من على ساحل الخليج العربي ومن بين كثبانه الرملية .. هذه الصلوات:

عيسى

يا من أحن إليه في مغانيه
ويعشق الخافق الهيمان ناديه

يا من أتوق إلى مرآه حيث ارى
طهر الأبوة للعلياء ينميه

واستريح على الصدر الدفيء كما
يرتاح طفل يناغيه مربيه

وتستبيني قوافي الشعر مرسلة
مموسقات على أوتار شاديه

ذكراه في خاطري ما عشت ماثلة
تضوع كالعطر من أطياف ماضيه

أخ شقيق صدوق في أخوته
كأنما الكبر معنى من معانيه

زاكي الخليقة .. ميمون النقيبة لم
يزده الشعر إلا في مغانيه

ويسمق الفن في اشعاره ألقا
والصدق ينهل ثرا في تغنيه

**

شاد على السفح يهوى الضوء منتشرا
يوقع الشعر أنغاما ويرويه

يشده عبق الذكرى .. وينشره
والشوق للهاجر المحبوب يطويه

يردد الآه في صحرائه دنفا
ولافح الهجر بالرمضاء يكويه

حيران يشرق بالاهات ، دامعة
حران يحيا لياليه مع التيه

غريب دار نأى عند المزار ولم
يعتد على العيش الا بين أهليه

لا حقله باسم الاكمام مؤتلق
ولا الطيوب صدى النسمات تشذيه

يحيا على ريق الذكرى فتؤنسه
تطل بين خداع الآل تشجيه

يرى الحبيبة في الأحلام دانية والواقع المر عن ليلاه يقصيه
كأنه والهوى المشبوب يحمله مجنون ليلى ·· وقد جن الهوى فيه

**

يا شاعرا يعشق الالهام ريشته وتستحم البوادي في قوافيه
إليك أبعث آلائي معطرة تزكو على المفرق العالي وتزكيه
يا شاعرا عاش للعلياء ينشدها ووقدة الضوء فيض من لآليه
يموسق الفجر أنغاما يرتلها والشمس رأد الضحى باللحن تغريه
فتستحيل القوافي البكر ملحمة تغازل الشفق الغافي فتصبيه

**

يا شاعر الكلم العالي ·· وناظمه درا تألق في دل وفي تيه
ما أروع الدر ألفاظا وقافية تهفو الى نايه شوقا تناغيه
لو شامها لؤلؤ الأصداف ما انتثرت إلا على داره ·· ترعى دراريه
إليك مني سلام عاطر أبدا يعانق الوحي فواحا تحييه

الوفاء بالوعد

ـ كان الحارث بن عباد في حرب ، وأراد أن يظفر بعدي بن أبي ربيعة ، ليثأر منه ، وبينما هو في معمعة الحرب ، أسر رجلا فطلب منه أن يدله على ربيعة فقال له الأسير :

اتطلقني من أسري ان دللتك عليه ؟

قال : نعم .

فقال له : أنا عدي بن أبي ربيعة .

فاطلقه وفاء لوعده ..

● النجاح والشجاعة

ـ لايستطيع رجل ان يسير في طريق النجاح بغير الشجاعة ، ولااقصد بالشجاعة ، العناد ، فالعناد لون من الوان الجبن ، والشجاعة في بعض الاحيان تتطلب ان تتخلص من عمل فاشل يتمسك به الرجل الجبان ، لأنه يخاف أن يعترف بفشله ، ويجب ان يصحب هذه الشجاعة الحكمة ، فلا قيمة لشجاع مجنون ولا لحكيم جبان .

هاجر - أم سهيل

الرائعة الخالدة للشاعر الكبير

حامد حسن في رثاء رفيقة عمره

— ١ —

هل تسألين — على بعادكِ — كيف حالُ أبي سُهيلِ ؟؟
رقدتْ جفونُ الهانئين ، وضجَّ بالحسراتِ ليْلي !!

جلّ المصابُ — مصابُ قلبي — فيكِ عن حسْنِ العزاءِ
هل تمسحنّ على نزيفِ جراحهِ كفُّ السماءَ

سيّانِ بعدكِ شامخاتُ القصر عندي ، والترابُ
ما نفعُ هذا القلب إن ماتت أمانيه العذابُ ؟

عشنا معاً متوحّدِيْن على الهوى عمراً مديدا
والعيشُ كان — على بساطته ، كما شئنا — رغيدا

خمسون عاماً ، أو يزيد ، من المصاحبةِ النبيلة
لم يدرِ حرَّ الشمسِ عصفوران دارهُما خميلة

زوجٌ كأن الله ربّ العطفِ ، لم يُبدعْ سواها
تحنو على بيتي ، وأطفالي ترقّهما صباها

بالأمسِ كان البيتُ يطفحُ بالحياةِ ، وكان يزهو
وأنا به كالطفل ، أعبثُ في جوانبه ، وألهو !!

سارت سفينتُنا وبحرُ العمرِ مضطربٌ وهادىءْ
لولاكِ ضيّعتُ المرافىءَ ، وابتعدتُ عن الشواطىءْ

الحبُّ عندي في المشاعر . والجوارح . والعظام
وأراه ينبع من عيونكِ ، وابتسامكِ ، والكلامِ

كلُّ اختلافٍ كان أوله ، وآخره عتابْ
وأجوزُ بالخطأِ الصواب ، وما تعدّاكِ الصّوابُ

إن ثُرتُ أحياناً تطالِعني — مع العتبِ — ابتسامهْ
فأخفّ معتذراً — وبي خجلٌ — وتنقشعُ الغمامهْ

عشنا ، وكنتِ مدى حياتك كلَّ شيءٍ في حياتي
وأنا أنا حتى المماتِ ، وربما بعدَ المماتِ

علَّمتِني ، وأخذتُ عنك رويّةً ، وهدوءَ طبْع
لو تشفقين عليّ كنتِ تركتِ لي بصَري ، وسمْعي

— ٢ —

وغداةَ أزمعتِ الرحيلَ إلى دمشقَ .. إلى الطبيبِ
كان الوداعُ من الأكفِّ ، من العيونِ ، من القلوبِ !!

ودّعتِني ، ومشيتِ نحوَ البابِ مثقلةً خطاك
ونظرتِ لاهفةً إليّ ، وقد تندّتْ مقلتاك

ما كنتُ أعلم أن تلك النظرةَ الولهى نذيرَهْ
كانت تقول : — وكنتُ أجهل ما تقول — أنا الأخيرَهْ

— ٣ —

لا تسأليني كيف قامَت بالدُّرَيْكيش القيامهْ ؟؟
أوَ لمْ تريْها خيرَ أرضِ الله داراً للإقامهْ ؟؟

الشعبُ يزحم كلَّ منعطفٍ ، ويشغلُ كلَّ ساح
لو تبصرين وتسمعين ، هديرَ نازفةِ الجراح !!

الزاحفون إلى وداعكِ يملأون الدربَ سيْلا
وأنا وراءهمُ ، وقد حملوا إلى «التوباد» ليلى

ضاقتْ بهم كلُّ الدروب ، إلى الضريح ، وكلُّ معبَرْ
فذكرتُ يومَ العرس ... لكن كان عرسُ الموتِ أكبرْ

وقفَ البنونَ حِيالَ نعشِ الأمِ أربعةٌ ، وأربعْ
لو أن ما في صدرِ واحدِهم على جبلٍ تصدّعْ !!

هذا ضريحُكِ ؟؟ أم تلألُ ، من أكاليلِ الورادْ ؟؟
وأظنُ كفَّكِ راح بين الوردِ يبحثُ عن فؤادي !!

نامي بظلّ السنديانِ ، وعندَ هسْهسَةِ السواقي
والله يعلم مالقيتُ غدَ الفراقِ ، وما ألاقي !!

لم يدرْ غيرُ الله ما ألقى ، وما أخفي ، وأُبدي
أتسافرين من الحياة وحيدةً ؟؟ وأظلُ وحْدي ؟؟

ماذا أقول ؟ ولم يزُرْ جفنيَّ طيفُك في المنام ؟؟
ولأنتِ أرفعُ في الحياةِ ، وفي المماتِ عن الملامِ

هل تسمحينَ بأن يزورَ الطيفُ أجفاني لِماما ؟؟
فأنا اليتيمُ ، وصارَ كلُّ الناسِ في نظري يتامى

ما أوجعَ النكباتِ إن نزلت على غيرِ انتظارِ
لاتعجبي إن رحتُ أبحثُ في النهارِ عن النهار

— ٤ —

يا ربةَ الكفِّ النديةِ ، والطهارةِ ، والضميرِ !!
من يُغدِقَنّ العطفَ بعدَكِ ، والحنوَّ على الفقيرِ ؟؟

تهَبين ما تجدين بين يديكِ من حاجٍ ، ومالِ
وأحبُّـهُ لله ماتهبينـه قبـلَ السؤالِ !..

أنا لا أمدُّ يديَّ بعد غدٍ لأفتتحَ الخزانهْ !!
تبقى ثيابُكِ ، والحليُّ على المدى عندي أمانهْ

لا أعتبنَّ على الزمان ، ولستُ أوسعُه ملاما !!
أوَلم يكن أغضى ، وسالمني مدى خمسين عاما ؟؟

لكنْ تنكَّرَ لي على كِبَري ، وأرهقني ، وأشقى
لم يُبقِ لي أملاً أعيش لأجله ، فعلامَ أبقى ؟؟

فإذا طغى ، وبغى ، وعربَد ، واعتدى سأظلُّ ساكتْ
والقولُ أبلغُ ما تُغيظ به العداةَ وأنتَ صامتْ !!

— ٥ —

أنا في الدجا والبيتُ — كلُّ البيت — تغمرُه السكينَهْ
ترتادُه الأشباحُ ، متعبةَ الخطا ، مثلي حزينهْ

هجر اللّذاتُ مع الغداة ، نديَّه ، وانفضّ سامرْ
والدهرُ أخرسَني ، وكنتُ — كما يقول الناسُ — شاعرْ

أنا في الظلام ، وغامَ في قلبي ، وعينيَّ الضياءْ !!
هل تغضبين إذا سألتك : أين عدلُكِ يا سماءْ ؟؟

— ٦ —

بُعداً ، وسوءَ غدٍ !! لمن ظلموك يا عبدَ المعينِ
هل كلُّ من يشكو ظلامته ، يكون قليلَ دين ؟؟

لو أدركوا السرَّ الذي زرعتْه كفُّ الله فينا
لرأوْا بأنّا خيرُ مَن في الأرض أخلاقاً ودينا

الحبُّ كان ، وظلَّ فينا ، كالزمانِ بلا حدودِ
ولنا إذا ما ماتَ واحدُنا به أجرُ الشهيدِ !!

زرعتْ يمينُ الحبُّ حنجرةَ البلابلِ بالغناءِ
وأضاءَ حتى في ظلام اليأسِ مصباحَ الرجاءِ

كانت تمثِّلُ كلَّ شيءٍ عند شاعرِها بهيرَهْ !!
كانت أميرته ، أيُغفرُ ذنبُ من قتلَ الأميرَهْ ؟؟

أنا في شتاءِ العمر يا عبدَ المعين أضعتُ قلبي
ما كان ذنبُك في ربيعِ العمْرِ إلّا بعض ذنبي

كانت «بهيرةُ» في حياتكِ ، مثلَ «هاجر» في حياتي
واليوم بعدهما نعيشُ على مريرِ الذكرياتِ

يلتاع قلبك كلّما خطرَتْ يتيمتُها خُزامى
وأنا مضتْ عني ، وأبقتهم ثمانيةً يتامى

فإذا أطلّت عندَ هادئةِ العشيةِ نجمتانِ
تتغامزانِ ، وتهمسانِ ، وتضحكانِ وتبكيانِ

وإذا تنهّدتا ، ومزّقتِ السكينةَ أنّتانِ !!
فهما هما ، وأنا وأنت ، عشيقتان وعاشقان !!

— ٧ —

سأعلمُ الأزواجَ كيف يفتّشون عن الحقيقهْ ؟
وأقول : جدّي آدمُ المسكينُ لم يُخطىءْ طريقهْ

ما بالُهمْ يتفلسفون ، ويبحثون عن الخطيئه ؟؟
لا تظلِموا حواء أمّكمْ ، فأمّكمْ بريئهْ !!..

لم ندرْ لولاها ، ولولا حبُّها معنى الحياةْ
والنورُ نورُ الله يُشرِقُ من قلوبِ الأمهاتْ

قيل : التأنق ، والتبرّجُ شاهدان على الغوايهْ
قلنا : هما هدفٌ يُراد بلوغُه ، ونبيلُ غايهْ

والله ما اتّشحتْ بكل حُليّها إلّا لنرضى !!
ما ذنبُها إن كان بعضُ عقولِ هذا الشرقِ مرضى ؟؟

لا تنسِبنّ لها الغوايةَ ، أنت يا ابنَ أبيك أغوى
لم تكتبِ التاريخَ إلا وفق ما ترضى ، وتهوى

— ٨ —

لي في ظلال السنديان ، وعند منعطفِ السفوحِ
روحٌ ترِفُّ على الضريح ، لكيْ تعانقَ أختَ روحي

سأعيشُ إن طالت بي الأيامُ إنساناً معذّبْ
وأنا الذي أجِدُ العذابَ — عذابَ ذكراها — محبّبْ

— ٩ —

وغداً إذا جاء الشتاءُ ، سترجعين مع الشتاءِ
ما جئتِ عاصفةً ، ولكنْ صحوةً ، ونفيفَ ماءِ !!

وإذا الربيعُ رمى عباءتَهُ على فِيحِ الكرومِ
كنتِ السَّنا ، والعطرَ في الزهرِ الفتيحِ ، وفي الكميمِ

وتحولُ عندَ الصيفِ روحُكِ في عصيرِ الكرمِ خمرَهْ
لا تعجبي أن تستحيلَ على فمي والقلبِ جمرَهْ

وسترجعينَ مع الخريفِ سحابةً تمشي الهوينى
وأكاد أسمع همس صوتك ، في الغمامة : ما نسينا !!

— ١٠ —

ماذا وراءَ القبرِ من عَدَمٍ يُقال : ومن خلودِ ؟؟
أنا جاهلٌ ، أعمى بكلِّ خفّي أسرارِ الوجودِ !!

ماذا وراءَ القبرِ ؟؟ عندي ما أضيقُ به سؤالا !
إن رحتُ أنزلهِنّ إيماني ، يقول العقل : لا ، لا

من راح يُنكر ما يُقال ، فكيفَ يُثبتُ ما يقول ؟؟
أنحولُ في صُوَرٍ — كما قالوا — أنبقى ؟ أم نزول ؟!

إن صحَّ أن المرءَ يرجِعُ في الطبيعةِ من جديدِ
هل ترجعين معي ، ولو في زهرتَينِ من الورودِ ؟؟

ونعودُ في الغاباتِ وشوشةً ، وبَوحاً في النَّسيم
ورجيعَ أغنيةٍ على أوتـارِ شَلّالٍ نغيـم

أوْ نستحيلُ ، وقد تحللّتِ الحياةُ من القيودِ ؟؟
في حفنتيْن من الترابِ ، وذرّتَيْن من الحديدِ ؟؟

— ١١ —

أنا في الطريقِ إلى دمشقَ غداً ، يرافقني سهيلْ
والشمسُ مشرقةٌ ، وملءُ أصابِعي ليلٌ ، وويلْ !!

الويلُ مزروعٌ بكلِّ جوارحي ، ونزيلُ قلبي
والليلُ مفروشٌ بأجفاني ، وملءَ غدي ، ودربي

لا تعجبي وأنا المبينَ ، إذا عجزتُ عن البيانِ
اللفظُ عاصاني ، وضاقتْ عن معانيكِ المعاني

ماذا اجترحتُ ؟ وأيَّ شائنةٍ أتيتُ ؟ وأيَّ ذنبِ ؟؟
ورفيقُ دربكِ في حياتكِ ، صارَ غير رفيقِ دربِ ؟!

وأظنُّ أيامَ الهناءِ ، عليَّ صارتْ مستحيلَهْ
وقليلةً ، وأودُّ لو كانت أقلَّ من القليلهْ !!

سأذيبُ أحلامي وآلامي ، وأسكبُها قصيدَهْ
وأزِينُ فيها الشعرَ ، معصمَه ، ومفرقَه ، وجيدَهْ

سأحيلُ عمري يا رفيقةَ رحلتي في العمْر شعرا
يبقى على الأفواهِ ، والأسماعِ ، والتاريخِ ذكرى

وغداً أخفُّ إلى الترابِ ، لأستريحَ إلى جوارِكْ
ويكونَ داري — بعد أن فارقتِ داري — قربَ دارِكْ

الدريكيش في ١٨ شباط ١٩٩٢م
١٤ شعبان ١٤١٢هـ

الحركة الكلاسيكيّة

نقد الأداة المركزية

بقلم: لواء سلامة

في مقدمة مقالنا هذا ، ينبغي الاشارة الى أن سطوره تأتي في سياق القراءة الاستعراضية ، والنقدية ، بالمقارنة مع حركات في اشكال مذاهب أدبية كبرى ، حفلت بها الساحة الادبية العالمية ، وأخذ انتشارها يحتد وتاثيرها يتوسع ، وصولا الى الساحة الادبية العربية بشكل مباشر او غير مباشر وذلك من خلال اللقاءات والمشاركات ، والكتب ، والترجمات ، وغيرها ٠٠ حتى طالت تاثيراتها زوايا الرؤية وبرنامج الممارسة في مختلف فنون الادب وألوان الفن ، مما عززها وجعلها أكثر قوة وعمقا ، في مواجهة النهج القائم " التراث " المستلهم من " نفائس " الثقافة العربية الاسلامية و " ذخائر " كل ما يمت الى " اصالتنا " القومية التاريخية - المستقبلية ، فكان وقعها - المذاهب الأدبية ، أصولا وفروعا - أشبه بـ الصدمة ، التي تغشي وتبهر ٠

وهذا المقال ، يتصل من حيث المضمون والغاية بمقالات سابقة ، وهو نتاج قراءة نقدية تهدف الى نظرة متوازنة للانتاج الادبي والفني الابداعي ، من زاوية شمول الادوات المنتجة ، واسقاطها بطريقة فنية متوازنة في العمل الادبي والفني وذلك لمضاعفة القيمة وترسيخ الاثر بما يجعله أكثر " استجابة " من ناحية أشباع مختلف الرغبات والقابليات ، عند مطالعة أنواع المعرفة ، وقراءة أشكال الفكر ، ودراسة أجناس الادب وتذوق الوان الفن ٠

إذا كان ازدهار المذاهب الادبية الغربية قد أرجعه الباحثون والنقاد الى عصر النهضة الادبية فهذا ببساطة مؤشر أولي لمرحلة نضوج واستقرار التفكير الكلاسيكي - وسيادته فكريا وأدبيا وفنيا هذا مع الاشارة - الضرورة - الى أن الايطاليين كانوا من أوائل الاوربيين ، الذين كان لهم فضل التمهيد لنشأة وانتشار الكلاسيكية - فقد انطوت جهودهم وانصبت على ترجمة وشرح كتب أرسطو عن أصلها اليوناني ، وباقي الكتب الاساسية مثل فن الشعر لـ هوراس " وكذلك " روبرتلو " و

فيترنو " و " سكاليجر " وغيرها من الكتب والترجمات والشروح التي أصبحت بمجموعها ، فضلا عن الاضافات التي تتصل بنفس المضمون ، تؤلف المبادىء الاولى والقواعد الاساسية للتفكير الكلاسيكي في اطار حركة تنتظم في سلسلتها مختلف اشكال الفكر ، وفنون الادب ، وألوان الفن

يعتبر العقل المحور الاساس للحركة الكلاسيكية وهو الاداة المركزية التي تعتمد ، في محاكمة النتاج والذوق ومختلف الظواهر ، والاشياء وهم في مطالعتهم لأي موضوع او شكل أو نتاج يبحثون اولا عن دور العقل في الرؤية والممارسة من دون أدنى عناية ، واهتمام الدوافع والمصادر المولدة التي كان لها الفضل الاساس في صياغة الشكل الابداعي أيا كان نوعه او مضمونه ، بل حتى ان أحكامهم النقدية تعتمد في محاكمتها - لأي صيغة ابداعية - على مقاييس عقلية بحتة ، والعقلية عند الكلاسيكيين اساس لفلسفة الجمال في الادب اذ يعتبرون ان الادب ما هو الا انعكاس حتمي للحقيقة وهذه الحقيقة مطلقة في زمانها ومكانها ، وفي سياق هذا الاتجاه العقلي يظهر صواب الحكم على أي شكل إبداعي معين ، بل حتى ان الشعر قد طبقوا عليه أحكامهم العقلية البحتة ، اذ قالوا ان غاية الشعر هي الفائدة الخلقية من خلال المتعة الفنية وانه يتطلب التعلم ، والصنعة ، مع الرفض الكامل لكل اعتماد يقوم على اساس الالهام او الموهبة ، بل حتى ان سانت افريمون قد عاب الشعر نفسه ، باسم العقل ، وفضل عليه الفكرة الواضحة في النثر .

وهم في هذا المضمار يستندون في أحكامهم على رأي له قيمته ، وأهميته ، فيقولون :يجب ان تقاد العبقرية الفردية بزمام الحكم الجماعي الرشيد ويجب ان تمر الخواطر في مجال التفكير ، لتصفى وتهذب ، حتى تخرج الى الناس منطقية معتدلة غير مشبوبة .

واذا كان الشعر عندهم هو لغة العقل ، فهو لا بد من أن يبرأ من كل أشكال تتعارض مع العقل مثل الخيال الجامح ، والنزعات الفردية والعواطف الجياشة ، وعلى الشاعر الا يسجل من خواطره في شعره ، الا ماهو عام ومشترك بين الناس ، وكما يقتضيه المنطق والفكر .

عند مطالعة طروحات الكلاسيكية تستوقفنا ملاحظة جديرة بالاهتمام ، وهي شدة تعصبهم لآداب اليونان ، والرومان وتمجيدهم لآثارهم ودعوتهم للاقتداء بهم ، واتباعهم ، وحتى في مجال النقد الفني نجدهم متخذين من الاداب القديمة المثال الذي يحتذى به فكانت مهمة الناقد ان يضع قواعد لمختلف الاجناس الادبية ، وان يدعو الكتاب للسير عليها ، وان يحكم على قيمة انتاجهم بمبلغ اتباعهم لتلك القواعد المقررة والسائدة .

وكما أشرنا في بداية مقالنا - هذا - الى اتصاله بمقالات سابقة ، من حيث المضمون والغاية فانه لا بد لنا من وقفة ، في نهاية سياق مطالعتنا لاصول التفكير الكلاسيكي وهذه الوقفة ذات وجهين احدهما تأملي ، والاخر نقدي ، من خلال تسجيل بعض الملاحظات النقدية ، كثغرات مكشوفة في جدار النظرة العامة للحركة الكلاسيكية هذا مع تقديرنا لأهمية الدور التنويري الذي لعبته على ساحة الفكر والادب والفن ، فضلا عن شعورنا بقيمة طروحاتها على مختلف الاصعدة ، وما أنتجته باطارها لرصيد كبير من الكتاب والادباء والفنانين والنقاد ، من نقد الاداة المركزية - الى نقد الافكار

١ - انه لمن القسوة اعتماد العقل كأداة مركزية واحدة في النظرة والممارسة .

٢- من الخطأ اللامنهجي اغفال دور العاطفة بقيادة القلب واستبعادها من حقول الابداع

٣- يؤخذ على الحركة الكلاسيكية تضخيمها الزائد لدور العقل هذا مع عدم نكراننا لدوره الطبيعي

٤- انعزالها عن المشاركة والفعالية الى جانب الحركات الادبية الاخرى على الساحة الادبية

والفكرية والفنية والعالمية ٠

٥- خطأ اعتقادها - الكلاسيكية - بأن الافكار المشتركة هي كالاحساسات المشتركة ، ومثل هذه المطابقة غير صحيحة في كثير من معانيها وابعادها اذ ان هناك قواسم مشتركة بين الافكار والاحساسات وبنسب ضئيلة ازاء مشكلات وقضايا معينة وليس هناك تطابق - اللهم الا في المعنى الفلسفي - الكوني ٠

٦- عدم أخذها او احترامها للطاقات والدوافع المولدة للعملية الابداعية من عاطفة ، وشعور ، وخيال هادف ، والرغبات والميول النفسية - الصحية - والوجدانيات ٠

٧- تعود الكلاسيكيون السلبي عن مواكبة التجديد والتطوير باتباعهم ما سن لهم ارسطو من قواعد كونهم يعتقدون ان الاقدمين كانوا خير مترجمين للعقل ٠

٨- نظرتهم الخاطئة للعقل بانه ثابت غير متغير وهذا خطأ بعينه اذ أن المتغيرات هي من خصائص التفكير العقلي وخير دليل على ذلك المعطيات الكثيرة التي تضمها اليات العقل في مختلف العقول والمجالات وما التجديد والتطوير الا شاهد نوعي وحسبي على ذلك ٠

٩- توظيفها النفعي والسلطوي للعقل كدعامة تبرير وغطاء للقواعد المقررة ، والنظم السائدة ٠

١٠- انحسارها الطبقي كون جمهورها ارستقراطي بحت وليس شعبيا عاما اذ وقفت أنشطتها لصالح البرجوازيين ولارضاء السادة ٠

١١- سوء نظرتها واعتقادها - الكلاسيكية بحق الملوك الالهي ٠

١٢- مخاطبتها الادبية والفنية لصفوة مميزة وشريحة محدودة من المجتمع واحتقارها للسواد الاعظم من الشعب ٠

لواء سلامة

في الحمية

● قيل للحارث بن كلدة طبيب العرب: ما أفضل الدواء؟

قال: الأزْم. أي الحمية.

● وقيل لآخر: ما أفضل الدواء؟

قال: ان ترفع يدك عن الطعام وأنت تشتهيه.

● قال الجاحظ: كان أبو عثمان الثوري يُجلس ابنه معه ويقول له:

إياك يا بني ونهم الصبيان، وأخلاق النوائح، وكل مما يليك، عوّد نفسك الأثرة ومجاهدة الهوى والشهوة، ولا تنهش ولا تدمن، ولا تلقم لقم الجمال، فإن الله جعلك إنساناً فلا تجعل نفسك بهيمة.

أي' بني: قد بلغت تسعين عاماً ما نقصت لي سَن، ولا انتشر لي عصب، ولا عرفت ذنين أنف، ولا سيلان عين، ولا سلس بول، ما لذلك علة إلا التخفيف من الزاد، فإذا كنت تحب الحياة فهذه سبيل الحياة، وان كنت تحب الموت فلا أبعد الله غيرك.

بطاقة محبة..

يحيى الشهابي

زهير ناجي - دمشق

عربي الاصل .. يرجع نسبه الى الامراء الشهابيين المخزوميين الذين رافقوا خالد بن الوليد في وقائع فتوح الشام وحكموا حوران .. وفي القرن الحادي عشر في زمن الغزو الاستعماري الفرنجي شاركوا في حرب الصمود والتصدي وانتزعوا وادي التيم من الفرنجة وانشأوا لأنفسهم امارة آل شهاب

والده الامير فريد الشهابي شغل منصب مدير عام مالية البقاع حتى وفاته .

ولد يحيى في بلدة راشيا عام ١٩١٧ في قلعة الشهابيين وانتقل مع والديه الى زحلة بعد قصف الفرنسيين للقلعة ابان الثورة السورية الكبرى ١٩٢٥ .

قضى طفولته الاولى في دمشق وتلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة طارق بن زياد في حي المهاجرين وحصل على شهادة البكالوريا الاولى من ثانوية المعهد الفرنسي العربي (اللاييك) عام ١٩٣٧ والبكالوريا الثانية قسم الفلسفة عام ١٩٣٨ .

نال ثقافة عربية تجمع بين التراث والمعاصرة وثقافة افرنسية حديثة وقرأ امهات كتب الادب والتاريخ والفلسفة وتأثر في شبابه الاول بخاله الامير العالم مصطفى الشهابي رئيس مجلس مجمع اللغة العربية .

بدأ بقرض الشعر وتدبيج المقالات الادبية في سن مبكرة فأصدر ديوان شعره الاول «السراب» عام ١٩٣٥ ولما يتجاوز الثامنة عشرة من عمره أما ديوانه الثاني (الشهابيات) فقد اصدره عام ١٩٣٦ وفي هذه الفترة نفسها بدأ يراسل المجلات المصرية واسعة الانتشار في الوطن العربي انذاك (الرسالة والرواية والسياسة الاسبوعية والمجلات اللبنانية كالمكشوف والسمير)

عمل في بداية حياته معلما في المدارس الابتدائية فعين عام ١٩٣٦ في قرية جوبر في ضواحي دمشق وظل فيها حتى عام ١٩٣٨ وكان كتابه (مذكرات معلم) الذي نشره عام ١٩٣٩ صدى لهذه الفترة من حياته وتسجيلا لتلك الفترة من تاريخ بلادنا .

في عام ١٩٣٨ سافر الى بيروت لتقديم امتحان شهادة الترجمة العليا وهي شهادة فرنسية كانت وزارة التربية الفرنسية تعتمدها فتجري امتحاناتها الكتابية في المعهد العربي الفرنسي وتصحح اوراقها في السوربون وعمل بعد ذلك في مجال الاذاعة وفيها برزت مواهبه كمذيع دافىء الصوت .

بعد جلاء المستعمر عن أرض الوطن وانشاء اذاعة دمشق عام ١٩٤٦ اختير كبيرا للمذيعين ثم مديرا للبرامج في الفترة الواقعة ما بين عامي ١٩٥٠-١٩٥٦ .

في هذه الفترة المليئة بالامال والاماني انتعشت الحركة الوطنية وكان انتعاش الحركة الفكرية صدى لها فساهم فيها مساهمة مباشرة يكتب وينشر ويذيع ويختلط بالادباء والفنانين ورجال الفكر بحكم وظيفته الاعلامية ويدعوهم للمشاركة في برامج الاذاعة ويشجع المواهب الشابة ويساهم في اكتشافها .

وكان في أوقات فراغه يساهم في الحركة الادبية ناشرا مقالاته وابحاثه في المجلات والجرائد

السورية واللبنانية والمصرية فحرر بخاصة في جريدتي بردى والقبس ومجلات الدنيا والنقاد وعصا الجنة (وفي هذه الاخيرة) كان يوقع مقالاته تحت الاسم المستعار " ابليس " .

في عام ١٩٥٢ عين مديرا لبرامج قسم الشرق الاوسط في اذاعة الامم المتحدة بنيويورك فأنشا فيها برامج يومية تمتد على مدى ساعتين ولكن هذا العمل لم يطب له كثيرا لابتعاده عن الوطن ومواقع الصبا فقدم استقالته بعد سنة رغم توسط اذاعة الامم المتحدة لدى سفارة الجمهورية العربية السورية في الولايات المتحدة لاستبقائه .

وفي عام ١٩٥٧ اصبح مديرا عاما للاذاعة بالوكالة اضافة الى عمله الاصلي مديرا للبرامج حتى عام ١٩٥٨ ثم أصبح مديرا عاما لهيئة الاذاعة والتلفزيون حتى عام ١٩٦١ حين نقل الى منصب مدير عام للتفتيش في وزارة الاعلام ومؤسساتها حتى عام ١٩٦٣

بعد ثورة الثامن من آذار عام ١٩٦٣ عاد مديرا عاما للاذاعة والتلفزيون لمدة عام كامل عين بعدها في الهيئة المركزية للرقابة والتفتيش وظل فيها حتى احالته على التقاعد عام ١٩٧٩ .

غير ان الجهات المعنية بالعمل الاذاعي رأت الاستفادة من خبراته الثمينة في المجال الاذاعي فكلف بالقاء محاضرات تدريبية في المركز العربي للتدريب الاذاعي والتلفزيوني التابع للجامعة العربية ومركزه دمشق ومهمته تدريب الاذاعيين العرب ، ولا يزال حتى تاريخه هذا يشرف كل عام على دورة لتأهيل المذيعين العرب ، واضافة الى ذلك فقد كلف بالقاء بعض الدروس العملية في الالقاء والتعبير في فرع الصحافة بكلية الاداب بجامعة دمشق .

في عام ١٩٨٧ عمل في (معجم العماد في العلوم والفنون والاداب والاعلام)ولا يزال فيه حتى تاريخه يساهم في اعداد مواده المختلفة وبخاصة في حقل الفنون والموسيقى والترجمة ، وعرف الاستاذ يحيى بالقائه المميز يساعده على ذلك صوته الرخيم الدافئ الذي يعرفه محبو برنامجه العريق (دوحة الشعر) والذي كان يشنف فيه اسماعهم بمختارات من الشعر العربي يدل اختيارها على ذوق أدبي رفيع يلقيه بنغم يعطي فيه الكلمة حقها في اللفظ ووضوحها في المعنى .. ولا يزال يلقيه حتى وقتنا هذا في الساعة الثامنة من يوم الثلاثاء من كل اسبوع ..

من مؤلفاته اضافة الى ماذكرناه سابقا يمكننا ان نذكر معجمه للمصطلحات الاثرية بالعربية وبالافرنسية طبع باشراف مجمع اللغة العربية عام ١٩٦٧ ومن مؤلفاته المخطوطة التي تنتظر النشر كتابه (البوهيمية في الادب العربي) وكتابه (العرب والشعوب) و (معجم مصطلحات الاذاعة والتلفزيون) .

غير ان أهم أعماله المخطوطة تلك التي لا يزال عاكفا على اتمامها وهي مذكراته الذي ينتظر ان تكون حافلة بالاخبار الفنية والادبية والسياسية والاجتماعية يلقي فيها الضوء على كثير من جوانب تاريخنا الحديث خلال اكثر من نصف قرن .

نرجو للاستاذ يحيى الصحة والسعادة ومزيدا من العطاء .

زهير ناجي - دمشق

● في كوريا الجنوبية ارتفع عدد الرجال الذي يتحملون مسؤولية منع الحمل من رجل واحد لكل خمس نساء إلى رجل واحد لكل امرأتين.

حروف من الوطن

بقلم: وداد قباني



مهداة إلى الأديب الشاعر
فارس بطرس

أخي المهاجر ..

يطيب لي أن أتحدث معك رغم بعد المسافات ، ورغم مرور السنين تطوي معها أيام العمر يوما إثر يوم وساعة إثر ساعة ..

تركت وطنك رغما لا طوعا ، وانقطع بالبعد شريان الوصل ، إنما بقيت شرايين الود والحب حبالا من ضوء تضيء العين والقلب .

تركت وطنك رغما لا طوعا ، أقولها ثانية وثالثة ، ويقول البعض : ولم تقولين رغما وقد هاجر راغبا رغد الحياة ، وأجواء المجتمعات الراقية في العوالم الكبيرة والمدن الانيقة..؟!!

وأقول رغما لأنك وأنت الغالي والحبيب افتقدت بيننا أشياء ماكنا نستطيع ان نمنحها لك لا كرها ولا بخلا ، وإنما عجزا ، فكان في رحيلك الرغبة والتصميم على إدراك المستحيل ، والوصول الى عالم الشمس الساطعة والعلم والرقي والمال والتحضر والقوة .. فهل وصلت الى ماتبتغيه ..؟

أخي المهاجر ..

يامن تركت الوطن وفيه أحباب لك وأصحاب ، فيه الأب العجوز الذي غادر الدنيا دون ان يفقد حلمه الجميل في رؤيتك ، فرحل ، وقد رسم حلمه ابتسامة على وجهه المتغضن ملوحا بيده معتقدا أنه يوم اللقاء .. والأم التي أتعبها عد الأيام والسنين تتطلع بلهفة وشوق الى لقائك ، فتتراءى لها صورتك المعلقة على الجدار ، تناجيها صباح مساء ، وتركت الاخت والصديقة التي كان يسعدها مرافقتك في أماسي الصيف والخريف ، حيث يروق التجوال في شوارع بلدتنا الجميلة ، وياسمينها يتدلى من شرفات منازلها ويتناثر نجوما على ارصفتها ..

كم كان يسعدني فنجان القهوة برفقتك في ليالي الشتاء الباردة ونار المدفأة يشع دفئا وحبا ويضفي على أحاديثنا عبق الهيل ، ويأخذنا الليل وحديث السمر لساعة متأخرة ..

هل تذكر سهراتنا الجميلة ..؟ وتجوالنا وزياراتنا المشتركة لأصدقائنا القدامى ؟ ان ذكرى تلك الليالي تبعث في قلبي شجوا وشوقا فهل يذكرك هذا بشيء ..؟ !!

هل تذكر قصص الحب القديمة ونحن نشهدها ونبارك لأصحابها .. ؟ لقد كبروا وأصبحوا آباء وأمهات وسيصبح لهم عما قريب بعض الاحفاد ؟ وأنت لم تزل تكتب لنا مكاتيب الحب ، فنغزل لك من عيوننا أراجيح شوق توصلنا اليك ، ثم تعود بك الى أحضان الاهل والصحاب ..

إليك يا أخي المهاجر لا أتوجه بكلماتي بل بنبضات قلبي .. أينما كنت ، في أوربا .. في السويد .. في أمريكا .. في البرازيل .. في استراليا .. حتى لو كنت في أقاصي المعمورة ، ومجاهل افريقيا ، أو ثلوج القطبين ..

فأنا هنا ، في وطنك الأم أنتظر رجوعك أو رسالتك وأقرأ أسطرها بكل الحب ، أنتظر أخبارك وأتشوق لرؤية بناتك وأبنائك ، أنا هنا في الوطن الأم ، في حارات دمشق القديمة ، وفي شوارعها الحديثة ، في جامعاتها ، وفي معاملها ، في أسواقها وفي منتزهاتها .

أنا هنا في سورية ، في محافظاتها محافظة محافظة ، في حمص وحلب وحماه ، في ساحل اللاذقية وطرطوس ، في غابات صلنفة والفرلق وسهول كسب الجميلة ، أنا هنا يا أخي المهاجر في دير الزور والرقة والحسكة أرقب الفرات العظيم فقد يأتيني التيار بزورق ورقي كتب عليه اسمك .

أنا هنا في حقول حوران وجبل العرب والجولان حيث الأطفال ينتظرون بقلوبهم البريئة مواسم الغلال ، وبعيونهم الوديعة صورة الأخ المهاجر الذي انقطعت أخباره أو كادت .. ولا زالت دمائه عبر شرايينهم تغذي الأمل بموعد لقاء ..

أنا هنا يا أخي المهاجر .. في الاردن ، وفي عمان وجرش واربد والزرقاء تتراءى لي عظمة البتراء فأحلم بعودة المجد ممتشقا هامات الرجال وأكاليل الغار تتسابق لتعتلي رؤوس الأبطال ، وأراك على البعد أحدهم تفتح لي القلب والذراعين فأنا أختك الحبيبة التي تركتها صغيرة ..

أنا هنا يا أخي المهاجر في كل بقعة من أرض الوطن الغالي ، في اهرامات مصر أشهد خلود النيل ولأحدثك عن ثقافة شعب أصيل ، وفي بقاع لبنان الحبيب ، أشكو جراحا تغوص في أعماق الجراح ولا تندمل الا بعودة الحب الذي هاجر أيضا ..

أنا هنا في غابات المغرب وتونس الخضراء وجزائر الشهداء التي أقسمت أنها بلغة القرآن وحدها تستعيد الحرية وكرامة الاوطان .

أنا هنا في العراق أحدثك عن بغداد وما جرى لبغداد ، أشكو إليك قهر العدا وظلم ذوي القربى ، و أزرع صورة الوطن في عيني الدامعتين فقد ينقلها الأثير اليك ..

أنا هنا يا ابن وطني في أراضي الحجاز أسائل الحجر الشريف ، وأدور أدور حول الكعبة أدعو الله أن يوحد الاوطان ويطهر قلب الانسان من كل الاثام ..

أنا هنا في القدس المحتلة ، أعتلي القبة المقدسة ، وأقول بشجاعة وأصرخ ، اصرخ عاليا واقول القدس لنا .. القدس لنا .. والأطفال حولي تتراكض ترشق العدو بحجارتها ، عفاريت صغيرة تظهر وتختفي وصوتها يعم الآفاق : الغضب الساطع آت .. وأنا كلي إيمان ..

ا ابن وطني الذي مارحلت كرها به ولا بنا .. أنا هنا في أرض التاريخ والاباء والاجداد أنتظر الغيم يحمل أنفاسك غيثا يبلل مواسمنا ، وأرقب الأفق ملوحة لأشرعة سفينة قد تحمل بين أضلاعها ابن أمي في اقاصي الأرض يبني ..
أخي المهاجر ..
أنا هنا في الوطن الأم ، حضنا تطرح فيه

سنوات الغربة تعبها الطويل لتعود بك طفلا يطير بأجنحة الحلم في أزقة الحارات ، يقطف من ياسمين الدارات الحنونة عقودا لعروسته الجميلة .

أنا هنا ، أبحث عنك عبر كل خرائط العالم ، وأعلن عنك وجها حبيبا غاب عني دون إرادتي ، وعلى صفحات هذه المجلة آمل أن نلتقي دائما ، أعطيك من عيوني القا ومن نبضي دفئا تمور به الحروف فترسم شكلا للدار عربية الطراز تفوح منها رائحة القهوة وحب الهيل ، وينتشر فيها عبق الفل والياسمين موسما للعشق ، وتعود لي أخا وصديقا بعد أن تاه في البعد كثيرا ، نستعيد معا طقوس الحب الذي كان ، ونرتد الى عالم الطفولة الأول دوائر حنين تبدأولا تنتهي ، فهل أنت معي .. قل لي :

سنلتقي ..

سنلتقي ..

سنلتقي

وداد قباني

---

* السعادة لحظة صفاء مؤلهة .
* أحد مظاهر العظمة أن يحدد الانسان عمره .
* روح الوجود .. صداقة .
* الالام طريق النضج في الحياة
* قالوا : اذا لم تكن ذئبا أكلتك الذئاب وأقول : اذا لم تكن حذرا أكلتك الذئاب .
* أؤمن بالانسان البركان الذي لا يهدأ الا بتحقيق المستحيلات .
* أحترم من يجعل الصديق بمرتبة الأخ .. وأقدس من يجعله بمرتبة النفس .
* الحياة لحظة تعبير حقيقية عن مشاعر صادقة .
* وبعد أن أموت ، تأبى الـ " لا " في داخلي الموت .
* مابالشهادة .. الا نبض الارض وصحوة الروح .
* قيدني الله بحبه .. فبدأت حريتي .
* الصداقة كتاب مقدس في مكتبة الحياة .

عبد الرحمن فستق

[illegible] الزوج الايطالي

يشنع أهل صقلية على الايطاليين بقولهم: «أن الزوج الايطالي بدين عادة، لأنه يتناول طعام العشاء مرتين.. مرة مع صديقته ومرة مع زوجته.. وفي المرتين يتناول المعكرونة.

الموضة والأناقة

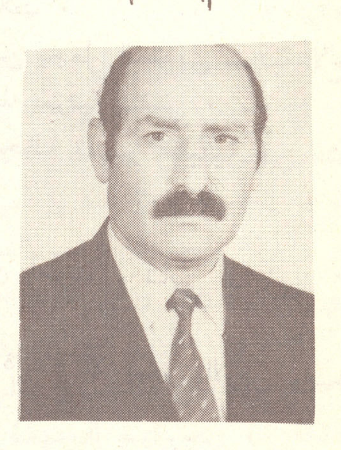
● الفرق بين الموضة والأناقة أن الأولى تقول: أنا ايضاً، بينما تقول الثانية: أنا فقط.

الرجل الذي تريده المرأة

● أسّرت امرأة إلى صديقتها: لست راغبة في رجل كامل بل في رجل يجمع في شخصه النقائص التي احبها.

منير الريس في ذمة التاريخ

بقلم
حكمت هلال



افتقدت مدينة دمشق الصحفي المناضل منير الريس ..

رجل تتباهى به العربية وتعتز به الانسانية

مناضل كبير وصحفي لامع . هو فرد من أفراد جمعوا بين الصحافة والسياسة، وبين خفة الروح وعذوبة المنطق ، كان حلو المعاشرة ، ظريف المحاضرة ، ذكي المشاعر ، سريع الخاطر ، جوابه على رأس لسانه ، مرهف الذهن . واشتهر بقدرته على استنباط الأدلة في وجه الخصم .

عاشرناه دهرا من خلال جريدته (بردى) ونهلنا من معين علمه الواسع وقلمه السيال ، فكان للعرب ثقة عظيمة بجريدته (بردى) التي بقيت لسان حالهم مدة طويلة .

فهم يطالعونها خبرا خبرا لأنها كانت السابقة في نشر أخبارهم وحوادث أقطارهم ، وأحوال شعوبهم . واشتهرت هذه الجريدة بصدقها وبحفاظها على المبادىء الصحفية الشريفة . وباخلاص صاحبها للوطن والأمة ويشهد على ذلك إقبال الجمهور على مطالعتها إبان صدورها .

كان رحمه الله - فصيح اللسان ، غزير المادة . ملتهب الذكاء واسع الاطلاع ، صادق الود كريم العهد . ولا أستطيع له وصفا أو تعريفا . هو الحكمة بذاتها . تخترق كلماته حبات القلوب وتضرم في النفوس نار حب الوطن والذود عن حياضه .

كان قدوة في التفاني من أجل وطنه . وهو يرى أن بلاده أجمل بلاد العالم ولغته أشرف لغات الأمم ، وهمه وحدة الامة العربية . وعنده أمل يجب ان يتحقق . وقد أسدى الى وطنه خدمة أدبية وسياسية جليلة لا يقوى على القيام بها الا من كان أمثال منير الريس علما وأدبا وسياسة وتضحية ونضالا .

عرفته بلاده زعيما وطنيا قاد خطواتها الى الحرية والاستقلال حتى آخر لحظة من حياته . حارب الفرنسيين وحكم عليه بالاعدام ، ورفع اسم سورية عاليا وضحى بماله وصحته في سبيل خدمة وطنه وشعبه .

نبذة عن حياته :

ولد منير الريس في مدينة حماه عام ١٩٠١ وهو ابن السيد عبد الرحيم الريس متزوج وله ولد واحد اسامة الريس ، توفي في دمشق في ٢٨-٣-١٩٩٢م .

تلقى علومه الابتدائية والثانوية العالية في مدرسة الاداب العليا ونال الشهادة الابتدائية والشهادة الثانوية (قبل نظام البكالوريا) ثم شهادة الاداب من الجامعة السورية .

حياته العامة :

عمل مأمورا في ادارة الديوان العامة العثمانية من عام ١٩١٩-١٩٢٥م .

اشترك في الثورة السورية مع المناضل محمد سعيد الغاص من عام ١٩٢٥-١٩٢٧م ثم اشترك في الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦م

واستلم رئيسا للشعبة السياسية في مديرية الشرطة العامة من عام ١٩٣٨ - ١٩٣٩م

ثم اشترك في الثورة العراقية مع المناضل رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١ م

وقد اضطرته الاحداث الى ان يلتجيء الى المانيا في بعض سني الحرب العالمية الثانية .

وعمل معلقا سياسيا في الاذاعة السورية ومديرا للدعاية والانباء ، وعمل في اذاعة صوت العرب في القاهرة ومراسلا لجريدة الجمهورية القاهرية من دمشق وأصدر جريدة (بردى) عام ١٩٤٥ وهي جريدة الشباب والقوى المجاهدة لتحرير جميع الشعوب العربية فكانت تحوي آراء وسقالات المفكرين والعلماء والساسة العرب عن قضايا العرب ومشكلاتهم السياسية والثقافية والاجتماعية . وكان شعارها (بردى سلاحك الماضي ولسانك الناطق) . وفي العام ١٩٤٦ اصدر جريدة الوحدة العربية وهي جريدة يومية سياسية ونرجح ان تكون حلت محل جريدة بردى في احدى فترات التعطيل وتخلل ذلك سنوات قضاها في سجون الفرنسيين بدمشق وبيروت وتدمر وتونس . فقد اضطهد الفرنسيون الصحفيين اضطهادا عظيما وقضى كثير من الصحفيين نحبهم آنذاك ومنهم من حكم عليه بأحكام مختلفة ومنهم من حكم عليه بالاعدام امثال المناضل الصحفي منير الريس وها هو يؤكد ذلك في صحيفة القبس حين يقول " كنت أعمل محررا بجريدة القبس الدمشقية وحكم علي بالاعدام لأني جاهدت في عام ١٩٢٥م ضد الفرنسيين من منطقة جبل الدروز ومنها انتشرت الثورة الى جميع انحاء سورية " .

ولقد حارب السياسة الطورانية التي عول عليها الاتحاديون القابضون على ناصية الحكم في جريدة المقتبس .

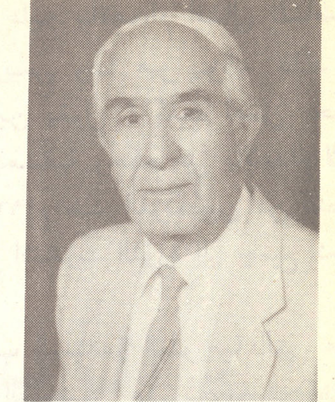
وانتمى في أثناء اعماله السياسية الى الشباب الوطني ثم الى الحزب القومي العربي .

مؤلفاته :

١- سورية بين عهدين صدر في دمشق بمناسبة عيد الجلاء عام ١٩٤٦ .
٢- ثورة فلسطين ١٩٣٦
٣- حرب العراق ١٩٤١
٤- رسالة الاتحاد القومي _ (كتيب) رقمه ٦٧ من سلسلة كتب قومية طبع القاهرة ١٩٦٠
٥- عيد الجلاء السورية (كتيب) رقم ١٠٣ من سلسلة كتب قومية طبع القاهرة ١٩٦١م
٦- الثورة السورية الكبرى طبع بيروت دار الطليعة ١٩٦٩م وهو الجزء الاول من الكتاب الذهبي للثورات الوطنية في المشرق العربي .
٧- حرر وكتب الوف المقالات والرسائل والابحاث في الصحف التي عمل فيها واصدرها وراسلها .

كان رحمه الله من بناة صرح النهضة والاستقلال وهو مشعل العدل والبر والأدب والسياسة وسيظل اسمه معطرا بنفحات الخلود مدى العمر .

حكمت هلال



رحلة العمر

شعر: عبد المجيد النجار

صِرتُ في السبعين والنفسُ لماضيها مشوقة

ولبيتٍ قد ألفناه شقيقاً وشقيقة

وأُصَيحابٍ كزُغبِ الطيرِ دنياهم حديقة

فهل العمرُ الذي ولّى سرابٌ أم حقيقة

إنّ هذا العمرَ أحلامٌ ووهمٌ وخيالْ

كنتُ في العشرين ما بين كتابٍ ودفاترْ

ومشيتُ الدربَ محفوفاً بألوانِ المخاطرْ

كنتُ أبني في الثريّا كلّ يومٍ ألفَ خاطرْ

وأظنّ الدربَ مفروشاً وروداً وأزاهرْ

فإذا مسلكهُ شوكٌ وهولٌ ونبالْ

عشتُ عشريناتِ عمري ومرامي لا يخيبْ

كلّ همّي أن أكونَ اللامعَ الفذَّ النجيبْ

وإذا قالوا غرامٌ ، محبٌّ وحبيبْ

وتغنّوا بالهوى والحُسنِ والغصنِ الرطيبْ

قلتُ هذا ليس لي فيه نصيبٌ ومجالْ

مرّتِ الأيامُ والدنيا زحامٌ وهمومْ

لم يفزْ فيها جبانٌ أو كسولٌ أو نؤومْ

حفزَ الهِمّةَ مِنّي صَوْتُها الحاني الرَّؤومْ
طَلَعَ الفجْرُ على مَنْ يَبْتَغي كَسْبَ العُلومْ
فانشِدِ المجدَ لترقى إنّهُ صَعْبُ المنالْ

فَجْرَ المأمولُ مِنّي كُلَّ طاقاتِ الشَّبابْ
وَوَجَدْتُ الكنزَ مخبوءاً بِطيّاتِ الكِتابْ
فَمَشَيْتُ الدَّرْبَ في جِدٍّ لتذليلِ الصِّعابْ
شَدَّ ما كانَ لِيَ السَّبْقُ على كُلِّ الصِّحابْ
فَعَرَفْتُ الحزْمَ والصَّبْرَ سَبيلاً للكمالْ

في الثلاثيناتِ مِنْ عمري حَمَلْتُ البُنْدقِيَّة
وتحمّلتُ كثيراً مِنْ عَناءِ العسْكَرِيَّة
كُنْتُ فيها كالغَيارى لا أرى إلّا القَضِيَّة
يَوْمَ كانَ الشعبُ يسقي بالقنا والمَشْرَفِيَّة
كُلَّ مَيْدانِ فِداءٍ مِنْ مَيادينِ القتالْ

في الثلاثيناتِ مِنْ عمري رَفَضْتُ المُسْتَحيلا
وتَمَرَّدْتُ على الظّالِمِ يَغْزونا دَخيلا
سالكاً بالقَهْرِ والعُنْفِ لِما يَبْغي سَبيلا
لا يَرى في جَوْرِهِ الآثِمِ ما يَشْفي غَليلا
عِنْدها أيقنْتُ أنَّ النَّصْرَ في حَدِّ النِّصالْ

هذه السِّنُّ مِنَ العُمْرِ هِيَ السِّنُّ الغَنِيَّة
بالطُّموحاتِ وبالإقدامِ والنَّفْسِ الأبِيَّة
فَهِيَ دُنيا مِنْ شُموخٍ وفِداءٍ وحَمِيَّة
واندفاعٍ لَيْسَ تَثْنيهِ عَنِ القَصْدِ المَنِيَّة
إنّها سِنُّ التَّصَدّي لأفانينِ المُحالْ

وإذا ما لاح للإنسان فجر الأربعين
وبدت لمته بيضاء مثل الياسمين
نضج الفكر وشد القلب للحب الرصين
لم يعد يغريه ما يغري الشباب الطائشين
إنما أغراه مكنون لأسرار الجمال

هذه السن لها من كل ذي عقل تحية
فهي سن الوحي والإصغاء للذات العلية
فمن الغار تبدى النور يهدي البشرية
فأزال الشرك وانجاب ظلام الجاهلية
وهدى الله الورى للحق من بعد الضلال

أربعينات حياة المرء كد وكفاح
يخفق الإنسان فيها أو يواتيه النجاح
فإذا أجد سعى المجد إليه والفلاح
وإذا ما زرع الشوك جنى منه الجراح
إنه الإخفاق أو تثبيت أقدام الرجال

وإذا الخمسون لاحت بين وعد ووعيد
كانت الإشعار كي تستقبل اليوم الجديد
على ليس لها عن جسد المضنى محيد
وعيون خانها مرآى قريب أو بعيد
إنها مرحلة الإنذار أن شد الرحال

وإذا الستون عاماً من حياة المرء ولت
راح يستعرض أحلاماً كلمح البرق مرت

هذهِ إشراقةُ الآتي مَعَ الأبناءِ هلّتْ
غربتْ شمسٌ ولكنْ بشموسًا قدْ أطلّتْ

هكذا فالعمرُ يمضي مِنْ شبابٍ لاكتهالْ

هذهِ السنُّ هِيَ البابُ إلى دُنيا التقاعُدْ
أنتَ فيها تحصدُ الجنيَ ومَنْ غيرُكَ حاصِدْ
إنْ بذرتَ الشرَّ فالشرُّ لأنفاسِكَ راصِدْ
أوفعلتَ الخيرَ لبّاكَ إلى كلِّ المقاصِدْ

فابتعِدْ يا أيُّها الإنسانُ عَنْ سوءِ الفِعالْ

صِرْتُ في السبعينَ مِنْ عُمْري فاهتزَّ كِياني
مِنْ صديقٍ كانَ ظِلّي في حياتي فجفاني
ظنَّ أنَّ الدّهرَ بالفاقةِ والعجزِ رماني
فمضى يصطادُ مَنْ يحميهِ مِنْ غدرِ الزمانِ

ليسَ يدري أنَّهُ يبني قصورًا مِنْ رمالْ

برجُكَ العالي هُوَ الأخلاقُ تزهو بالوفاءْ
لاصروحٌ من جحودٍ ونفاقٍ ورياءْ
فافعلِ الخيرَ ولا تبغِ من الناسِ الجزاءْ
واتّقِ اللهَ وساعد ما استطعتَ الضعفاءْ

نحنُ ماضونَ ولا ندري إلى أينَ المآلْ

نحنُ ماضونَ إلى موتٍ وبعثٍ ونشورْ
ورحيلٍ عن ديارٍ ومتاعٍ وسرورْ
ندعُ الدُّنيا وما فيها ونأوي للقبورْ
بعدَ أنْ عِشْنا حياةً لفَّها ثوبُ الغرورْ

فانتبِهْ يا أيُّها الإنسانُ فالعيشُ زوالْ

فهنيئاً لامرءٍ قد كان للخير مثالا
عاشه فعلاً ولا يرجو ثواباً أو نوالا
وكفافُ العيشِ يرضيه ولا يبغي سؤالا
هامه لا ينحني إلا إلى الله تعالى

إنه الإنسان حقاً إنه خير مثال

مرت السبعون من عمري ومازلت أنادي
بجلاء الغاصب المحتل عن أرض بلادي
ففلسطين ولبنان جراح في فؤادي
وربى الجولان تدعوني إلى خوض الجهاد

ليتني أشهد فجر النصر قبل الارتحال

ليتني لم أشهد الفرقة بين العرب
لا ولم أشهد عدواً حاقداً يشمت بي
لا ولم تدنس بلادي من جيوش الأجنبي
ويلتا من ذل قاع بعد عز الكوكب

نكسة عابرة والدهر حال بعد حال

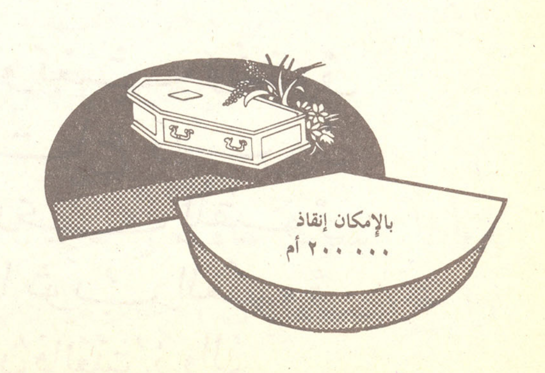
- ٥ -

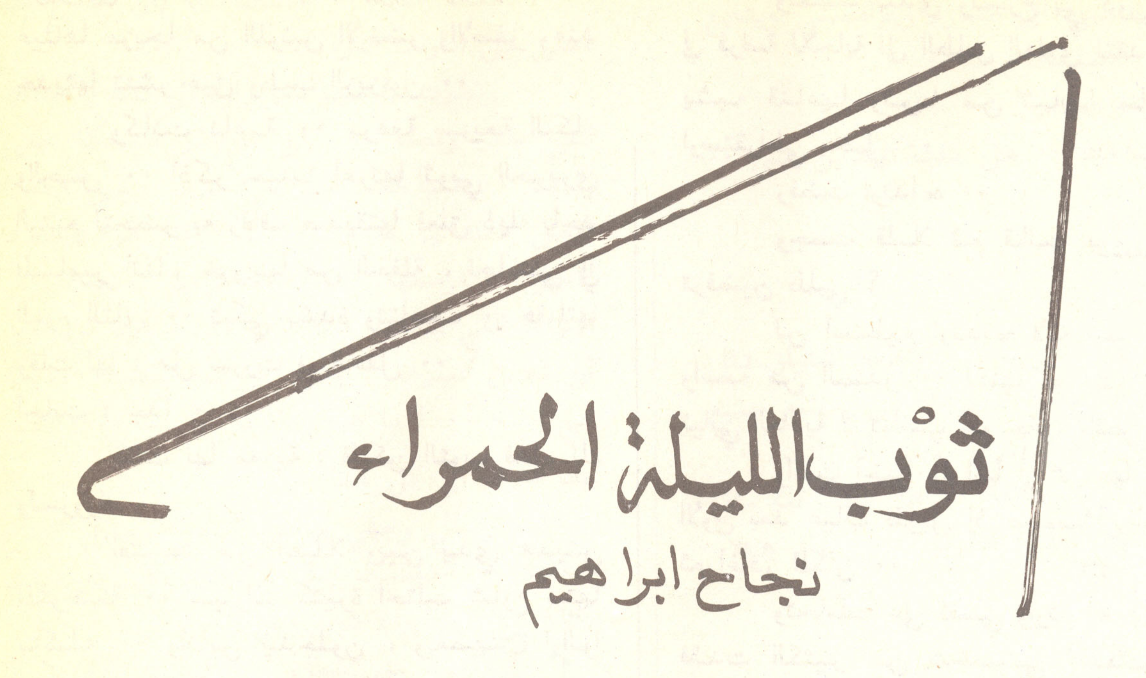
دمشق في ٤/٤/١٩٩١

حسن للأمهات وحسن للأبناء

يموت نصف مليون امرأة في كل عام أثناء الحمل أو الولادة. وجميعهن تقريباً في البلدان النامية. وتتعرض أصغر الأمهات سناً، وأكبرهن سناً ممن حملن مرات كثيرة أو من قاربن بين الولادات كثيراً، إلى هذا الخطر أكثر من غيرهن. ويمكن لتجنب الحمل أن ينقذ حياة ٢٠٠ ٠٠٠ من هؤلاء النساء.

وبرامج تنظيم الأسرة تساعد على بقيا الأطفال. فأمام المواليد أفضل الفرص حين يكون عمر الأم أكثر من عشرين عاماً وأقل من خمسة ثلاثين، وحين يكون لديها ثلاثة أطفال أو أقل، وحين تكون الفترة بين أي ولادتين عامين أو أكثر. واحتمالات موت الطفل الأول لأم مراهقة تكون أكثر كثيراً منها بالنسبة للطفل الثاني أو الثالث لامرأة عمرها بين ٢٠ و٢٤ عاماً.





ويرن جرس الهاتف ..

مسحت يدي بالمريلة المعلقة برقبتي ، اذ كنت في المطبخ ، أحضر وجبة الغذاء ، وأنا أعلم علم اليقين أني لن أستطيع تجهيزها قبل مجيء زوجي ولا حتى بعد ..

كنت متضايقة بعض الشيء بسبب تزمت مدير الشركة التي أعمل بها واصداره قرار عدم انصراف النساء من العمل قبل الثانية والنصف ..

تناهى الى سمعي صوتها اللطيف .. حاملا بونا من المسافات والذكرى .. أدركت على الفور أنها سناء .. تلك الصديقة العزيزة التي تحتضن في قسماتها كل البراءة والطهر حتى انتزعت مني كل إعجاب ..

كان الله معها في كل الظروف حتى أصبحت وزوجها في فردوس الثراء والنعيم ، حملني صوتها وعاد بي الى الماضي ورحت أتذكر أياما عشقناها معا .. نتراكض من أجل لقمة العيش .. الى أن ترك زوجها الوظيفة الحكومية ومارس التجارة أي نوع من التجارة لست أدري حتى الآن .. مستغلا ذكائه ومهاراته الظاهرة والخفية إذ كثيرا ما كان يقول ان الراتب الضئيل الذي يتقاضاه في نهاية كل شهر لا يسمن عن جوع..

وما هي الا سنة أو أقل حتى انتقل بها الى حي يليق بأصحاب الملايين فتركت العمل ولحقت بانتصاراته .

- لم تنسيني اذا يا سناء .. ؟

فأجابت كما عهدتها رقيقة .. حساسة .. يكتنف كلامها المرح البرىء ..

- لقد كنت دائما معي .. لكن ظروف سفري المستمر حالت دون لقائي بك مدة من الزمن وها أنا أصل حبل انقطاعنا .. فأدعوك لحضور حفلة عيد زواجي يوم السبت القادم وانه ليسعدني تشريفك ..

- سأحضر بكل تأكيد يا عزيزتي ..

وعدت الى المطبخ وبي شوق لأرى زهرة الزيزفون .. هكذا كنت ألقبها قديما إذ كانت عيناها مزيجا من اللونين الأخضر والأصفر وعند حديثها تنشر عبق وطيب الزيزفون ..

وكانت ناعمة .. مرهفة سريعة البكاء والحس .. أذكر حينما أعرتها ثوبي الحريري اليتيم لتحضر به زفاف صديقتها فعلق ذيله بأحد المسامير أثناء خروجها من الحفلة ، فجاءتني في اليوم التالي .. تبكي بشدة وتتأسف .. فقبلتها وقلت لها : هل سررت في الحفل .. ؟

أجابت : جدا ..

فقلت لها معزية : فليكن الثوب فداء لك ولسرورك .

اقتربت من الفيللا وبين يدي هديتي المتواضعة .. سيارات كثيرة احتلت شارع بيتها بأكمله .. وأناس يدخلون ، وبعضهم مازالوا ينزلون من سياراتهم .. تساءلت : " هل أصبح زوج سناء بهذه الأهمية ؟ " دخلت حديقة الفيلا .. اخترقت رائحة الورود أنفي .. سرت ببطء حتى وصلت المدخل ، الموسيقا صاخبة .. سريعة الايقاع .. نظرت الى الموجودين .. هالني مارأيت ، بل أفزعني .. كانت وجوههم مقنعة بأقنعة تحمل إما وجه دب أو وجه شيطان أو وجه رجل قبيح .. والأضواء مستعرة .. رنين الأقداح المترعة يدوي وشموع في كل ركن .. انتابتني شبه إغماءه .. قررت العودة فمن الصعب أن أجد نفسي هنا .. أفاجأ بإحداهن تناديني : التفتت .. تقترب مني امرأة تحمل وجه أرنب ساخر .. يعانق خطواتها شلال من عبير ودفء ، يترنح فوق عنقها ويسبح فوق صدرها شبه العاري .. وجسدها السخي المعطاء يقدم كل أسراره للناظرين دون تحفظ .. عجبت من تكون .. ؟

تقترب أكثر ...

وتباغتني بـ : أهلا سعاد ..

تخلع القناع لتقبلني .. أقدم لها الهدية مع باقة من التمنيات .. تكمل :لم كل هذا التأخير ؟ تعالي معي ..

وتمسك بيدي وتسرع بي دون أن تترك لي فرصة للاجابة الى الطابق العلوي لتقدم لي قناعا يشبه قناعها وثوبا من ثيابها ملائما لجو ارستقراطي مخملي ..

رفضت ارتداءه ..

وجمت قليلا ثم قالت بحزن : وهل ترفضين طلبي ؟

لن أستطيع ارتداءه لأنه يكشف مساحة واسعة من الصدر .. لكنها أصرت مدعية بأن ثيابي العادية لا تناسب جو حفل راقص ..

وافقت أخيرا ولم اشأ أن أزعجها منذ اللقاء الأول بعد غياب طويل إذ صممت أن أبقى دقائق ثم أغادر المكان ..

وتحاملت على نفسي وارتديته .. رغم أني فقدت الكثير من شخصيتي وفقدت شعوري بذاتي وماهيتي ..

نزلت الى البهو الكبير ..

المعربد والمستعر ..حيث الاضواء المتلونة كل ثانية بلون والأجساد العطشى والأرواح الهائمة لليلة حمراء مثل هذه ..

تسمرت أطرافي .. لم أستطع الاقتراب أكثر .. وجحظت عيناي .. دهشت كيف تأكل أيدي الرجال خصور السيدات وأعناقهن وشعورهن وربما أرجلهن موسيقا الرول أند رول تصدح .. تجلجل .. توتر ..

الجميع في جنون تام .. يرقصون وكأنهم في حلبة للمصارعة .. يهدأ بعضهم ليقذف الى داخله ببعض الكحول ، ويأكل قليلا ثم يعود للقتال .. بعزيمة أشد ورغبة أقوى ، وقفت في زاوية مظلمة ودهشة غريبة تأكلني .. أراقب من بعيد جسد سناء وهو يتمايل بين الأيدي .. يراقصها هذا ثم يتركها بلطف ليستلمها ذاك .. يقبلها ثم يهمس في أذنها فتكاد تقع من الفرح وتنتهي الرقصة ليبدأ آخر ..

يفاجئني صوت أحدهم : ما بك تعالي ؟

أتلفت حولي لأعرف من يناديني ..

ويشدني ويضمني الى صدره ويراقصني ويتابع كلامه ورائحة الخمر تفوح منه .

- لم كنت واقفة هناك ؟ ..

ويتضاحك .. هل كنت تبحثين عني .. ؟

- أنا .. ؟ !!

يكمل بلا مبالاة :

- أتدرين يا سناء ان براكين وحمم اشتياق تغلي في داخلي ، كم أود لو تنشق الأرض وتبتلع جميع المدعويين حتى زوجك الأرعن لأبقى أنا وأنت ..

ما بك اليوم خائفة .. هل لك رغبة مثلي في الدخول الى احدى الغرف .. وترك هؤلاء لجنونهم ..

ألجم قوله لساني .

شعرت حينئذ بأن قلبي قد سقط بين قدمي المرتجفتين ومنعني حتى من الحركة .. وأن طبول أفريقيا كلها أخذت تدق في أذني حتى ذهبت بسمعي ، وكدت أسقط لكني تماسكت وتابع وهو يضغط على زندي :

- ما أبرد جسدك الليلة يا سناء .. لم تقولي لي كيف حال ابنتنا " سوسو " انني أعاني من أزمة مادية فادحة ولك أن تتصوري كم أنا بحاجة الى المال ..

وقتها أحببت أن أكشف قناعي وأظهر له وجه الحقيقة وأركض بين هذا الحشد الفارغ لأجر صديقتي من شعرها وأقدمها له لكني أجبته بصعوبة وبصوت خلت بأنه قد فضح أمري :

- آه .. ينتابني مغص شديد بين الفينة والأخرى .. اني لأستئذن منك يا .. عزيزي ..

وانسحبت من بين يديه وأنا أسمعه يقول : تبا لك من امرأة باردة .. ابتعدت بجسدي المرتعش الى مكان منزو ، أخذت أصابع الغثيان تحيط بي .. وألم فظيع داهم رأسي .. أسمع بشدة طرقات قلبي .. أشتم رائحته التي انتشرت فوق كتفي العارية .. ما يزال مكان يده رطبا ولزجا فوق صدري .

أكاد أتقيأ .. حمدت الله بأن القناع قد أخفى كل امارات القرف ..

ونظرت باستهزاء ومرارة الى تلك الأجساد التي تقفز رقصا .. كان المنظر مضحكا حتى الموت .. تساءلت ألف مرة ، ما الذي دفعك لفعل ذلك يا سناء .. ؟ كيف عرفت هذه الاجواء ومارستها .. ؟ أواه كيف تخلصت من البراءة التي تشعها عيناك وكيف لزهرة الزيزفون أن تخنق عبيرها ؟ وهل .. هل طفلتك الوديعة هي ابنته .. ؟ يا هول مافعلت يا سناء .. أدفع بك الترف الى كل هذا ؟

وتبلل وجهي ببعض الدموع وحاول القناع خنقها .. أحسست بيد تمسك بكتفي فارتجفت وابتعدت الى الوراء دون وعي ..

اقتربت مني سناء وهي تضحك .. ما بك يا سعاد ؟ لم لا تشاركين ؟

في تلك اللحظة ..

كشفت بغضب عن وجهي ونظرت كثيرا الى وجهها المقنع ، تأملته .. وضربت جبهتي بقوة ..

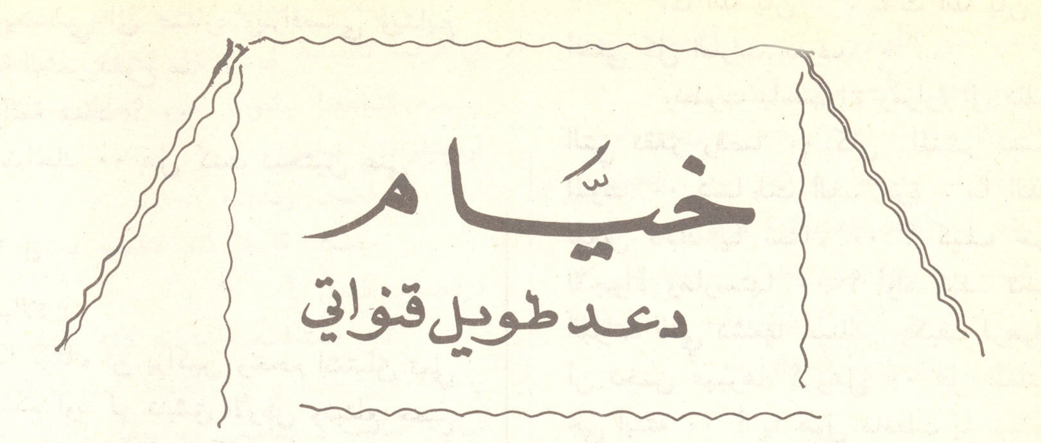
قرأت دموعي وقرأت غضبي ولعنتي .. قربت وجهي أكثر منها حتى كاد أن يخترق قناعها ..

- بماذا أشارك ؟ لقد تغيرت يا سناء .. تغيرت كثيرا وسقطت بعد ان كنت مثلا لي .. اذهبي الى عشيقك المخمور الذي ينتظرك هناك في ذلك الركن ..

لقد اعتقد بأني أنت انظري .. انه يبحث عنك بين الأقنعة وقناعك هذا يناسبك تماما ..

ثم أوليتها ظهري وركضت وعلى شفتي ابتسامة ساخرة من مجتمع تسرب الزيف إليه وكبرت الابتسامة .. كبرت حتى أبكتني ..

وأسرعت الى الدور العلوي أخلع هناك ثوب الليلة الحمراء المزيف ولأرتدي ثوبي وأهرع الى بيتي لأقبل جدرانه ..



من شد إليك خطاي ؟
من أحكم ربط زمانينا ؟
من قيدنا بالحزن الضاري حتى صار أساك أساي،
وسقانا الغبطة صرت كأني في الزمن الفرحان
لا حزن لدي
وكأنك لا آه أقرب منك إلي
وكأنك دهر يسكن سفر العمر ولا ينفذ
أو درب يشغل كل السبل ولا يبعد
وكأنك نبع النار
في جوفك يلقينا زلزال الشوق الى العرفان
كي ننهل كي
نكوى الارواح بنار أساك ،
يسلط منك حديدا أحمر يدمغنا
بالصمت الراضي
صمت نشوان أسوان
رضيان فرحان أسفان
فأجبني يا خيام أجبني
كيف أصدق لما في
غور الاضلاع يغور الوشم ويرجع جلد الصدر صقيلا
كالمرآة ..
طريا مثل تويجية
أنا كيف أصدق أنا
بك لم نوشم ، لم نكو
من فيض ضيائك لم ننهل
لم نسق الخمر العلوية ؟

***

خيام
خيام أراك بعين خيالي زهرا غضا ، صخرا مهشوما
أسدا مكسورا ، ماسا وضاء
ماسا محطوما ، آه أراك أراك جميع الاشياء
وكأنك مختصر الأزمان ،
كأنك أوجزت الانسان ،
جميع الانسان
الأعمى والمبصر
الثائر والصاغر
الموقن والحائر
والتاعس والجذلان
وكأنك آه .. ماذا أروي ؟
وأنا !!
تتواثب نحوك أجنحتي
يتسارع خطوي ؟
وكأني في غفل عن عين الأزمان ،
لاقيت بدنياك السحرية
أصداء تسابيحي العلوية

***

خيام
من شد وثاق زمانينا ؟
من قاد خطاي ؟
في الطلعة نحو المرصد ساقتني قدماي
ما بين المعدن والخشب المصقول حللت
في بلور العدسات وفي الخلل المخفية

راقبت وإياك الأفلاك
لم تلمحني
وأنا
أتنقل بين مسارات الأنجم
أتتبع منحاها
أترصد سير خطاها
وأفك خطوط تشابكها في الليل الأعجم
أنا بين زوايا المرصد بت وفي أرقام حساباتك
في رسم الحبر على القرطاس
في بهر الكشف وجهد التدوين
في حزن الخيبة لما كانت عينك تفشل أن تتبع
دوران الأنجم في اللاأعرف أين وأين ..؟
في وثب القلب ورف العين
ودبيب البهجة في الأنفاس

***

خيام
لم يبق مكان في ترحالك ماجزناه
لم يبق سراه ما أيبسناه
أو أبراج للمنعة مازرنا أعلاها
لم تبق قصيدة شكر في محراب الأنوار
ما أنشدناها
ما أحرقنا
في هيكله روحينا
كي يقبلنا
حجاجا في الحرم الاسمى
أضيافا في الركن المختار

***

رافقتك في كل الرحلات
حتى أسوار جهنم يوم النار
ألقت بصخور الجمر على أسراب مراكبنا
الأجنحة احترقت
والمركب غار
ربض الطاعون على العدسات
وانسدت آه كوى الأنوار

***

أتذكر لم تصرخ ، لم تندب ، لم تجأر
لم تشك ولم تتلفت نحو المرصد عيناك
أسرعت الى أحضان الخمرة في الدن
والخمرة صارت معول
والمعول راح يدق الأرض ليحفر بئرا
يغرق فيها ردم الحزن

والأرض تميد
والحزن شراك
يا جنيات الأرض بربك ردي المعول رديه
مدي أيديك ستارا يعشيه
شيدي الصوان دروعا ترديه
صدي الضربات فيصرخ ، يطرح ، أو يعمى
في جوفك لا تدعيه يحفر قبرا
حتى ملك الأفلاك
لا يلقى حيا فيه

***

خيام
أنا خيل لي
أن القلب المشتاق الى العرفان
لو يقدر يخرق ثوب الطين
ويجوز العتم الى روض الأنوار الفينان
ويذوق ثمارا لا لحم فيها كي يفسد
لا طين يجف
أنا خيل لي أن القلب المشتاق إذا
ما أعطي أن يسقى
روح العرفان اللايفنى
لا يحزن .. لا يضنى
لو قص بساط العمر ولم يبق
فسح من أجل رحيل آخر
يتغاضى ، ينسى ، لا يدري أن الفخار هباء عاد الروح
الروح اذا ما شق لباس الطين
وانضم الى فلك الأنوار
هل يبقى يعبأ يا خيام بناموس الفخار ؟

***

أنا بي خيام مثلك يا خيام
خيام منسي في ركن من أرجاء القلب
يقتات فتائت مائدتي
مخذول ، مهجور ، مجروح
خيام كان يتوق الى أن يمضي العمر وراء المرقب

ويلاحق من فرج العدسات
حركات النفس وغور الروح
خيام كان يتوق الى أن يكشف في أي الأفلاك
تجري النفس البشرية
في أي دروب تمضي في
اي الخانات تحل
وأي جسوم تحجب عنها الشمس
وأي كواكب تغسل عنها الطل
خيام كان يروم
أن يصهر في نيران العلم
لكنني أمرأة يا خيام .. امرأة أم
أترى تدري يا خيام
ما تعني إمرأة أم ..؟

***

الروح
الروح أحل ضفائرها
من أجل أحوك نفوسهم
والعظم أفتت من جسدي
من أجل أمتن عظمهم
والنار
أنا ناري بدل أن أذخرها
كي أطلق أجنح مركبتي
شررا أنا فيهم أبعثها
من أجل أوجج نارهم
لو تسأل عني لا تلقاني
أنا بينهم وزعت
نجما في جبهة هذي
شررا في مقلة ذاك
وعمودا في مبنى هذا
في الآخر جسرا او مدماك
أنا أدخل في تركيب عظامي لما العظم طريا كان

أن أعظم صرح أرفعه
أن أنزع من لبنات الروح لأرفع للغير البنيان
ما هم إذا ما حبة قمح كنت وأفني الروح
إن كان لغيري أن يحيا
وتقوم ذرى وتشاد صروح ؟

***

أنا روحي في أوراد سواي تعيش وتحيا
لكن سواي أنا
وأنا الأجمل والأغلى
لكن سواي مداراتي ومرايانا
في صفحتها أنا يا خيام أرى ذاتي
وأدير كواكب دنيانا

***

لو قدر يا خيام أطلت بساط العمر
لأتم بناء مراكبهم
حتى لو جاز الركب الغمر
ناديت الرب وقلت له :
إن ترغب أن تطوي عمري
فاطرحه في قلب البحر
سيان أيغرد أم يطوى
ما دام الركب أجتاز اللج وحط على شط النصر
إني فوضت إليك الأمر وأنت الموكل بالأمر

***

لكني يا خيام
يبريني الشوق الى التحليق
ويخيل لي أني
لو أعطي لي
أن أقنص من دار النور الأزلي
قبسا قبسين
وأضيف الى مصباح الأرض شعاعا او اثنين
لو أعطى لي
سأصير الها للغفران
سأسامح كل ذنوب الكون ، أبارك كل المخلوقات
الطير الشادي في الأفنان
والغول الجائع في الطرقات
سأطير الى أرض الخلد
وأطوف على موج الابد
أتأرجح فوق الموجات
تتراقص حولي ضحكاتي
وهنالك آه ويا الله

أتماهي في الموج المسحور
وعلى عفل
قطرات ضياء أصبح في

***

لو أعطي لي
أتراني أمنح يا خيام
أن أطلق أجنحتي وأحل شباكي ؟
واذا ما طال بساط العمر ولاح قصي المرمى
من يكتب لي عهدا
من يكتب لي عهدا أن تبقى صافية
عدسات المرقب لا تعمى
أن تبقى أجنحتي تشتاق الى التحليق
وخرق مجاهيل السموات

أن يبقى النابت في كتفي جناح عقاب
لا يقصر مثل جناح قطاة ؟

***

لو أعطي لي
آه ومتى ؟
يقال
يقال أن الروح لا تموت
تظل في ملاعب الزمن
تنقل سكناها الى الأبد
من جسد يفنى الى جسد
إن حق هذا القول يا اله لا تعد زراعتي
في جسد لامرأة وأم
لأن أجنحتي
لو عدت تبقى تحضن الصغار لا تطير
فوق هوة العدم
لا تهتك الغيب ولا ترقى مراقي النور ،
لا تخرق السدم
تظل في التراب مغمدة
ترعى الغراس ، تنزع الأعشاب ، تصلح السياج
في المواسم المكررة

روحي أنا تهوى الحقيقة المنوره
روحي أنا نار وأنوار
فأي غنم لي
لو عدت بناء أو زارعا أو راعيا تقضي
في عتمة الأرض
أجنحة والنار
وجل ما يقدر ان يصنعه فخار ؟

***

أنا يا خيام هرعت إليك لأعرف ما تخفى ذاتي
لكن أواه وأي دجى
ألقى في صفحة مرآتي
روحي تتصارع مع روحي
تلتج بأعماق الصدر
تتعارك أقدامي مع أجنحتي

***

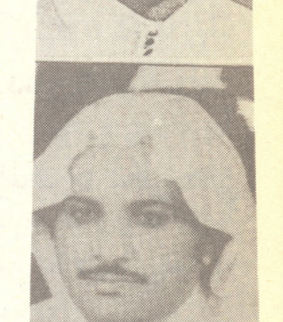
أنا يا خيام
لا كأس لدي ولا خمرا
لا بئرا أحفر ولا قبرا
أنا أشرب من خمر الأمل
فاذا ما جف على غفل
نبع الأحلام بأقداحي
فاملأ
املأ كأسين من الراح
واقرع كأسينا
واعلن باسمينا
أنا همنا
همنا بالخمرة والسكر
في هذا العمر الضليل
من أجل أن نسكر عقلينا
من أجل نعيش بلا فكر

دعد طويل قنواتي

في رحاب الأدب السعودي

اعداد : تميم الحكيم

الثقافة تحاور الأديب السعودي محمد المنصور الشقحاء



محمد المنصور الشقحاء أحد الادباء المخضرمين في المملكة العربية السعودية ، وهو قاص وشاعر وكاتب له مشاركاته في الحركة الثقافية، وقد ساهم في تأسيس نادي الطائف الادبي وهو (دينمو) النادي وأحد أركانه الرئيسية .

صدرت عن أعماله القصصية ثلاث دراسات نقدية ، وكتب عن آثاره عدد من النقاد العرب على الساحة الادبية .

وللشقحاء علاقة وثيقة مع مجلة الثقافة الدمشقية فقد نشرت له بعض ابداعاته الكتابية ، كما أصدرت له مجموعة الغريب القصصية .

وفي هذا اللقاء ، نلتقي بالاستاذ الشقحاء ليحدثنا عن صلته بالادب والادباء ، وعن قراره الاخير باعتزال القلم والانتقال الى صفوف القراء .

تضخم المعاناة .. وراء الاعتزال :

س : سمعنا انك قررت اعتزال القلم ..

ألا تعتقد معي أن الكتابة نبض ، وليست وظيفة يمكن الاستقالة منها .. واذا كنت تقر رأيي هذا ، فما هو تسويفك لقرارك الاخير باعتزال القلم ؟

ج : ما سمعت حقا ، مع ايماني بأن الاديب الصادق كلما تقدم به العمر تزداد موهبته الابداعية صقلا وحنكة وتجربة .. انما ما دفعني الى اعلاني اعتزالي العملية الكتابية والطرح الابداعي هي معاناة الاديب التي تضخمت في داخلي حتى لم أعد استوعب ما أبحث عنه من خلق ، في زمن تقتل فيه العصافير لمجرد القتل .

شاعر يتواطأ على شعره :

س : رغم ان لك مجموعتين شعريتين ، فان القراء يعرفون الشقحاء قاصا أكثر مما يعرفونه شاعرا .. لماذا أخذتك القصة من الشعر ؟

ج : لي ثلاث مجموعات شعرية صدرت في أوقات متباعدة ، انما عاشت في الظل ولم يحتفل بها النقاد مع انها تجربة جديدة في نظري ، استطاعت ان تكون اضافة للحركة الشعرية في المملكة العربية السعودية .. ولكن فساد الوسط الثقافي العربي حجم هذه التجربة ، وكان ايضا تواطء مني أنني أهملت توسيع دائرة الشعر في عطائي الخاص وتجربتي الابداعية .

ولاعلم كنت بصدد جمع بعض النصوص الشعرية لطبعها في المجموعة الرابعة .. انما قرار التوقف شملها ، فتخلصت من هذه النصوص والتي نشرت في الصحف بأوقات مختلفة .

قاص يدير ظهره للنقد

س : اختلف النقاد حول انتاجك القصصي ..
هل هذا الاختلاف يعود الى تفاوت هذا الانتاج ام الى تنوع رؤية النقاد ؟

ج : الاثنان معا .. لقد واكب تجربتي الابداعية تفاوت كتابة النص وتنوع رؤية النقاد .. وهذه الحالة كان لها الاثر الفاعل في مواصلتي كتابة القصة القصيرة ، متحديا العوائق لأحقق شخصيتي الأدبية .

لقد واجهت نقدا محبطا ، ونقدا لم أقتنع بما فيه من إطراء ، وبالتالي تركت هذه الاراء خلف ظهري مع احترامي لكل من ساهم باثراء تجربتي الابداعية ، ليكون منطلقي فيما أكتب هو تجربتي الخاصة .

الرمز والتجريد العفوي .. ميزة

س : يتهمك بعض النقاد بالرمز والتجريد .. هل تعتبر هذا الاتهام عيبا أم ميزة ؟

ج : الرمز والتجريد في نظري اذا تداخل مع النص بشكل عفوي لا اصطناع فيه او تكلف يكون احد أساسيات النجاح .. وعندما أستعين بالرمز في نص قصصي ، فهذا يعطي أبعادا فنية وفكرية تزرع العديد من علامات الاستفهام ، والتحقق من متانة النص .. اذا هنا ارى هذا الاتهام ميزة وليس عيبا .

نقاد سطحيون .. وآخرون يتلمسون الالم

س : استطاع انتاجك القصصي ان يتخطى الحدود الجغرافية ، وان يحظى باهتمام النقاد خارج السعودية .. بينما لم يلق الحفاوة الكافية من نقاد المملكة الى ماذا ترجع ذلك ؟

ج : أبدا .. انا جريء في الكتابة ، وبالذات عندما أكتب نصا قصصيا أتجاوز كل المعوقات ، ولا أفكر سوى في اخراج هذا النص مضمونا وفكرة كما أردت لا كما يريد الرقيب او الاخر الذي لا احتفل به بقدر احتفالي بقناعاتي .. وبالتالي الناقد يتوقف امام السطح .. فاذا أعيته الوسائل اتهم النص بالغموض وعدم الترابط .. الخ ..

هذا بالنسبة للناقد في المملكة العربية السعودية .. انما في سوريا وفي مصر ورغم اختلاف الواقع الاجتماعي والبنى الفكرية ،فإن الناقد هناك استطاع ان يتلمس مواطن الالم في ثنايا هذه الاعمال القصصية ، وواكبها بكل مقومات الناقد الذي يعي دوره ، من هنا تتضح الصورة ، ويتباين التناول .

القصة تفوقت على الشعر

س : ما هو تقويمك للقصة السعودية ومكانتها بين الفنون الادبية الاخرى ؟

ج : أتعاطف مع القصة القصيرة واقول انها برزت بشكل فعال وحققت نقاط تفوق لصالحها في حلبة العطاء الابداعي مع الشعر الذي فقد مصداقيته في زمن نحن بحاجة الى الصدق في تعاملنا حتى مع أنفسنا .

القاصة السعودية .. مغالطة

س : هل استطاعت القاصة السعودية ان تزاحم القاص في هذا الفن ؟

ج : القاصة في المملكة العربية السعودية فتاة تتوهم انها جميلة وعلينا ان نعشقها ، وان نتقبلها بكل سافيها ، حتى يحظى هذا العاشق بقبلة منها ، انما واقع الامر هو خلاف ذلك . . صحيح لدينا بعض النصوص القصصية الجيدة لبعض الكاتبات كنجوى هاشم ، وشريفة الشملان ، وسميرة قاشقجي ، انما هل نقول : لدينا قاصة .. هذه معادلة تبحث عن قاعدة .. ان تكريس اسم قاصة كهوية ، فيه شيء من المغالطة .

القصة القصيرة تجاوزت القواعد

س : ماهي أبرز الشروط التي يجب ان تتوافر في القصة القصيرة .. برايك ؟

ج : أبدا لا توجد شروط مع تطور الاتقان الفني في زمن لم يعد فيه شواذ يحطم القاعدة ٠٠ لأننا تجاوزنا القواعد المدروسة التي لا يحيد عنها الكاتب ٠٠ وهذا التطور أعطى النص القصصي مقومات المغامرة التي معها يكون العمل محققا الشرط الابداعي ٠

نادي الطائف ٠٠ والمستقبل

س : ماهي مشاريع نادي الطائف الادبي المستقبلية ؟

ج : الافكار كثيرة وأهمها اصدار ملف النادي في مواعيد محددة بعد ان تم طرح فكرة اصداره باسم النديم ٠٠ كما ان هناك تفكيرا في اعادة صياغة شروط مسابقة النادي السنوية ، واقتناء بعض الكتب التراثية والحديثة لمكتبة النادي بعد ان تم استحداث مقر لها ، بالاضافة الى محاولة خروج لجان النادي من عنق الزجاجة لتمارس نشاطها داخل النادي ، لمساعدة مجلس الادارة في تحقيق طموحات اعضاء النادي ٠٠ كما ان اختيار الاسماء المشاركة في النشاط المنبري يحتاج الى اعادة نظر ، وشروط طباعة الكتب ولجان الفحص بحاجة الى تقويم جديد ٠

أدباء سوريون

س : لمن قرأت من الادباء السوريين ٠٠ وبمن أعجبت ؟

ج : قرأت لاسماء عدة منها : عبد السلام العجيلي وغادة السمان وحنا مينه ، وسمر روحي الفيصل ، ونزار قباني والشاعر الكبير سليمان العيسى واستاذ الاجيال مدحة عكاش ٠

عكاش ٠٠ أستاذ جيل كسب الرهان

س : ارجو تعريف الادباء التالية اسماؤهم بجمل قصيرة :

أحمد السباعي ، حامد الدمنهوري ، عبد الله باقازي ، علي العبادي ، مدحة عكاش ؟

ج : أحمد السباعي : صحافي أديب استطاع ان يكون صاحب اوليات ٠

حامد الدمنهوري : قاص وكاتب تمكن من كتابة الرواية في زمن كنا فيه بحاجة لمن يكتب نصا فنيا متكاملا ٠

د ٠ عبد الله باقازي : رفيق درب ٠٠ بداياتنا كانت واحدة ٠٠ استطاع ان يكتب القصة القصيرة المركزة الهادفة ، كما استطاع ان يقدم دراسات ادبية لأدباء من المملكة العربية السعودية ، أهملهم التاريخ وتجاوزتهم الساحة الادبية رغم دورهم البارز فيها ٠

علي حسن العبادي : استاذ جيل وأخ كبير استفدت من تجربته ، وشاعر متميز نسي نفسه ٠

مدحة عكاش : أستاذ جيل وشاعر محلق استطاع من خلال مجلة الثقافة ان يكسب الرهان الثقافي في سورية والوطن العربي ٠

الثقافة ٠٠ وإعجاب متطرف

س : ما هو رأيك في مجلة الثقافة الدمشقية ؟

ج : أنا أحد تلامذة مجلة الثقافة ، ورأيي فيها متطرف ، والتطرف قد يكون أقصى درجات الاعجاب ٠